للنساء الآن

قبل الندم والخسران



المـوت والقـبـر
البعـث والنشـور
الصـراط والمـوازين
الوقوف بين يدي الله
الخـوف والتـوبة
الدنيـا والآخـرة
الجـنة والنـار

تـأليف
أبو مريم مجدي بن فتحي السيد



للنساء الآن قبل الندم والخسران

الطبعة الأولى

رمضان ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

ح دار الراية للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ.

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السيد، مجدي فتحي

للنساء الآن قبل الندم والخسران - الرياض.

١١٩ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٤- ٦٤- ٦٦١- ٩٩٦٠

١- المرأة في الإسلام ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان

ديوي ٢١٩/١ ٢١/٣١٢٧

رقم الإيداع: ٢١/٣١٢٨

ردمك: ٤- ٦٤- ٦٦١- ٩٩٦٠

دار الراية للنشر والتوزيع

الرياض: الربوة - طريق عمر بن عبدالعزيز ☎ ٤٩١١٩٨٥ - ٤٩٢١٣٩٣

فاكس ٤٩٣١٨٦٩ ص.ب. (٤٠١٢٤) الرياض (١١٤٩٩)

جـــدة: ☎ ٦٨٨٥٧٤٩/ ٠٢ - فاكس: ٦٨٩٧٧٠٧/ ٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

أختى المسلمة . .

ماذا تفعلين لو جاءك ملك الموت الآن ؟ !

أختى المسلمة . .

الآن أنت تقابلين الله ، والروح فى تغرغرها فكيف يكون حالك ؟

أختى المسلمة . .

إنهن الآن يغسلونك ، وفى الأكفان يضعونك ، وفى القبر يتركونك ، وبالحصى يغطونك ، فهل استعددت لذلك الوقت ؟

أختى المسلمة . .

أغلقوا عليك القبر بالتراب ، وودعك الأهل والأحباب ، وواجهت فى القبر السؤال والحساب ، فأين الدنيا الآن ؟

أختى المسلمة . .

معك الآن منكر ونكير يسألان ، ويشددان فى السؤال ، فهل تجيبين أو يتوقف منك اللسان ؟

أختى المسلمة . .

ها هو الدود يمزق الأكفان ، ويأكل اللحم وينخر العظام ، فأين

اللذات والشهوات ؟

أختى المسلمة . .

ها أنت تخرجين من قبرك عارية كما ولدتك أمك ، لتعرضي على الميزان ، فهل يثقل أم يخف الميزان ؟

أختى المسلمة . .

طارت صحائف الأعمال ، عن اليمين والشمال ، فيا هل ترى تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك ؟

أختى المسلمة . .

أراك ستمرين على الصراط – المنصوب فوق جهنم – والناس يتساقطون فى جهنم ، فهل تمُرين إلى الجنة أم تسقطين إلى الهاوية ؟

أختى المسلمة . .

حتمًا ، وحقًا ، وصدقًا ، ستقفين بين يدى الله تعالى ، وسوف تُسألى عن أعمالك ، صغيرها وكبيرها ، حقيرها وعظيمها ، فهل أحضرت للسؤال جوابًا ؟

فهذا كتابى إليك « للنساء الآن قبل الندم والخسران » أسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمات ، والمؤمنات ، ويرحمنى به فى الحياة وبعد الممات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو مريم

مجدى فتحى السيد إبراهيم

[١]
لماذا خلقك الله ؟

أختى المسلمة . .

إن الله تعالى لم يخلقك عبثًا ، ولم يتركك تعيشين على الأرض سُدى بلا غاية سامية ، وأهداف نبيلة .

لقد حدد عز وجل المنهج ، والغاية ، وأوضح لك جزاء من تسير من بنات حواء على المنهج من أجل تلك الغاية ، وجزاء المعرضات عن هذا المنهج ، الغافلات عن تلك الغاية .

قال جل شأنه :

﴿ فإما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لما حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرًا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾[١] .

فيا من تريد حياة طيبة فى الدنيا ، وحسن المقام فى الآخرة تذكرى أن الله تعالى قال :

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[٢] .

---

(١) سورة طه : ١٢٦ .

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ .

فهل قمتِ بعبودية الله تعالى ؟

أما أنك أصبحت لا تعرفين إلا الطعام والشراب بالنهار ، والسهر أمام اللهو والعبث بالليل ؟!

ستذهب منك الأيام ، وتكتب عليك الآثام ، وتبكين بكاء أهل الإجرام ، ولن ينفعك الملام .

فيا أسفًا لك إذا جاءك الموت وما أنبت ، واحسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت ، وبالقبائح لربك صعدت .

اسمعى إلى هذا الموقف ، وتأملى فيه طويلًا ، وتدبرى فيه كثيرًا :

أن تعصى المرأة ربها قد يُبرر بأنها غير معصومة ، ولكن ما الشأن إذا أحبت المرأة المعصية ، وأرادت انتشارها ، وسعت فى ذلك بقدميها ؟ !

أمر قومٌ امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للعابد الزاهد « الربيع بن خيثم » .

لعلها أن تفتنه ، فينحرف عن طريق ربه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم .

وخدع المرأة قولهم ، وضحك عليها هواها ، وأغواها شيطانها ، وأمرتها نفسها الأمارة بالسوء .

لبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ، وتعرضت للربيع وهو عائدٌ من مسجده إلى بيته .

ووقف « الربيع » ليعرف شأنها ، فأحس بغدرها ، ومكرها ، فأراد

أن يعظها لعلها أن تهتدى ، فقال لها :

يا أمة الله . .

كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك ، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ !

يا أمة الله . .

كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت من رب العالمين ، فقطع منك حبل الوتين ؟ !

يا أمة الله . .

كيف بك لو قد سألك منكر ونكير فى قبرك ؟ !

فأخذت المرأة تبكى ، ثم ولت منصرفة ، وهى باكية .

ومن يومها ، وتتوب المرأة إلى ربها من قُبح فعلها ، وتعاهده على السير على الاستقامة ، فكانت تتِعبد فى محرابها .

وكلما ذكرت معصيتها غلبها البكاء حتى يرحمها أهلها .

ولم تفارق الدنيا حتى عُرفت بشدة العبادة ، والصبر على ليالى الشتاء الطويلة الباردة فى صلاةٍ واستغفارٍ ، ودعاءٍ ومناجاة ، وتحمل نهار الصيف بصيامها .

وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذعٌ محترق .

كأنها جذعٌ محترقٌ من البكاء على الذنوب الماضية .

أختى المسلمة . .

وأنت ، ألست صاحبة الخطايا ، فأين دموعك الجارية ؟ !

أختى المسلمة . .

ألست أسيرة المعاصى ، فأين البكاء على الذنوب الماضية ؟

أختى المسلمة . .

هل نسيت ذنوبك ، وصحفك للمُنى حاوية ؟ !

أختى المسلمة . .

هل تصبرين على الهاوية ، وما أدراك ما هى ، نار حامية ؟ !

لقد خرجت من بطن أمك وحدك !

وستدخلين إلى القبر وحدك !

وستقفين بين يدى الله وحدك !

فهل حققت معنى العبودية فى نفسك ؟

هل أديت حق والديك عليك ؟

هل قمت بحقوق زوجك عليك ؟ !

هل ربيت أولادك على ذكر الله والصلاة أم على الغناء والأفلام ؟ !

إلى متى تصرين على ترك الصلاة ، وهجر القرآن وأنت تعلمين : أن الموت طالبك .

والقبر بيتك .

والتراب فراشك .

والدود أنيسك .

والفزع الأكبر موعدك .

والوقوف أمام الله موقفك ؟ !

هل تنتظرين حتى يضيع دينك ؟

لقد كان النبي ﷺ يكثر أن يقول : -

« يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » .

« يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك » .

قال أنس: فقلنا يا رسول الله، آمنا بك، وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟

فقال : « **نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله[1] تعالى يقلبها** »[2] .

---

(١) هذا من أحاديث الصفات ، فنؤمن بها ، ولا نكفيها ، ولا نشبهها ، ولا نعطلها ، ولا نتكلم فيها بالتأويل ، والإيمان بها واجب ، والسؤال عنها بدعة .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه الترمذى (٢١٤١) ، وابن ماجه (٣٨٣٤) عن أنس .

وأخرجه أحمد (٦ /٩١) ، وابن عاصم (٢٢٤) في السنة عن عائشة .

وأخرجه مسلم (٢٦٥٤)، وأحمد (٢ /١٦٨) من حديث =

فهل آمنت على قلبك ودينك ؟ !

وكيف ذلك وأنت تُعرفين بكثرة الذنوب ، وتراكم العيوب ، واللهث وراء الشهوات الفانيات ؟ ! !

أختى المسلمة . .

آتٍ الموت بسكراته .

آتٍ القبر بأهواله .

آتٍ البعث بأحواله .

آتٍ يوم القيامة بشدائده .

وعند ذلك يُكشف عنك الحجاب ، وترين سوء الحساب ، قال عز وجل : ﴿ **لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾[1] .

* * *

= عبد الله بن عمرو .

وأخرجه أحمد (٤ /١٨٢) ، وابن ماجه (١٩٩) عن النواس بن سمعان .

(١) سورة ق : ٢٢ .

[٢]
تذكرى هاذم اللذات

أختى المسلمة . .

من الأمور التى تعينك على تحقيق العبودية : تذكرك هاذم اللذات . ولكنك أصبحت تكرهين الموت وذكره .

هل تعلمين لماذا ؟

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم الزاهد :

يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟

قال : لأنكم أعمرتم دنياكم ، وأخربتم أخراكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب .

قال : كيف القدوم على الله عز وجل ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، أما المحسن فكالغائب يأتى أهله فرحًا مسرورًا ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتى مولاه خائفًا محزونًا .

هل تستطعين أن تذكرى الموت ، وأنت مشغولة بذكر الأغانى ، والأفلام ، والتمثيليات ، والموضات ، والتسريحات ؟ !

كيف تتذكرين الموت ، وأنت تودين أن تُعمرى ألف سنة ؟ !

لو حاسبت نفسك على عدد الذنوب ، لكانت كعدد الرمل

والتراب ، ومع ذلك تطمعين أن تدخلى الجنة ، وتكونى كالكواعب الأتراب ، أنت سكرانة بغير شراب .

اسمعى إلى هذه الحكاية :

قال أبو بكر الكنانى :

كان رجل يحاسب نفسه فحسب سنينه يومًا ، فوجدها ستين سنة ، فحسب أيامه ، فوجدها إحدى وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم ، فصرخ صرخة ، وخرَّ مغشيًا عليه .

فلما أفاق ، قال : يا ويلاه ، أنا آتى ربى بأحد وعشرين ألف ذنبٍ ، وخمسمائة ! !

هذا لو كان ذنبٌ واحدٌ كل يوم .

فكيف بمئات الذنوب كل يوم ؟ ! !

آهٍ علىَّ ، عمرتُ دُنياى ، وأخربت أخراى ، وعصيت مولاى ، ثم لا أشتهى النقلة من العمران إلى الخراب ، وكيف النقلان إلى دار الكتاب ، والحساب ، والعقاب ، والعذاب ، بلا عمل ، ولا ثواب ؟ !

هلمى أختى المسلمة ، استيقظى من غفلتك ، وعودى إلى ربك ، واذكرى هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وميتم البنين والبنات ، ومبكى العيون ، ومغير الجفون ، وقاطع الأمانى والأحلام .

تفكرى يا مغرورة فى الموت وسكرته ، ومرارته .

تذكرى يوم موتك ، وانتقالك من سكنك على ظهر الأرض إلى

مسكنك فى باطنها .

كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه :

« **أكثروا ذكر هاذم اللذات** »[1] .

لأن التى تكثر من ذكر الموت يكرمها الله بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة .

أما مَنْ نسيت الموت وذكره ، فإنها تعاقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل فى العبادة .

إن ذكرك الموت سوف يرقق قلبك .

جاءت امرأةٌ إلى عائشة – رضى الله عنها – تشكو قساوة فى قلبها ، فقالت لها : « أكثرى ذكر الموت يرق قلبك » .

ففعلت ذلك ، فرقَّ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها .

وعندما تذكرين الموت وتتذكرِينه تهون عليك مصائب الدنيا .

قال كعب : « من ذكر الموت ، هانت عليه المصائب » .

وقال عمر بن عبد العزيز :

إذا كنت فى سعةٍ من العيش ، وأردت أن يضيق عليك ؛ فاذكر الموت .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٣) ، والترمذى (٢٤٠٩) ، والنسائى (٤١٤) ، وابن ماجه (٤٢٥٨) ، وابن حبان (٤/ ٢٨٢) ، والحاكم (٤/ ٣٢١) .

وإذا كنت فى ضيقٍ من العيش ، وأردت أن يتسع عليك فاذكر الموت .

أختى المسلمة . .

لما جاءت ساعة الاحتضار لعامر بن عبد قيسٍ جعل يبكى .

فقيل له : ما يبكيك ؟

قال : ما أبكى جزعًا من الموت ، ولا حرصًا على الدنيا ، ولكن أبكى على ظمأ الهواجر ، وعلى قيام ليالى الشتاء .

انظرى أختى المسلمة هكذا كانوا ، ومع ذلك كانوا يذمون أنفسهم على تقصيرها فى جنب الله .

أما أنت الآن ، فهذا هو حالك تجمعين لما لا تأكلين ، وتأملين ما لا تدركين ، وتبنين ما لا تسكنين ، فهلا اتعظت بالموت ؟

هل من امرأة تعمل استعدادا لنزول الموت ؟

و لم لا ؟ والموت أشد من نشرٍ بالمناسير ، وقرض بالمقاريض ، وضربة ألف سيف فى موضعٍ واحدٍ .

قال شداد بن أوس رضى الله عنه : —

« الموت أفظع هولٍ فى الدنيا على المؤمن ، وهو أشد من نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ، وغلى فى القدور ، ولو أن الميت نشر ، فأخبر أهل الدنيا بألم الميت ، ما انتفعوا بعيشٍ ، والتذوا بنومٍ » .

أختى المسلمة . .

كأنك بالعمر قد انقرض ، وهجم عليك المرض ، وفاتك كل مراد وغرض ، وإذا بالتلف قد عرض أخاذا :

﴿ لَقَد كُنتَ فِى غَفلَةٍ مِّن هَٰذَا ﴾[1] .

شخص البصر ، وسكن الصوت ، ولم يمكن التدارك للفوت ، ونزل بكِ ملك الموت ، قامت الروح وحازى :

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

عالجت أشد الشدائد ، فيا عجبا مما تكابدين .

بلغت الروح إلى التراقى ، ولم تعرفِ الراقى من الساقى ، ولم تدر عند الرحيل ما تلاقى ، عياذًا بالله عياذا :

﴿ لقد كنت فى غفلةٍ من هذا ﴾ .

ثم درجوك فى الكفن ، وحملوك إلى العفن ، على العيب القبيح والأفن ، وصرت فى القبر جذاذا[2] :

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

ومن الأمور التى تعينك على العبودية استحضار شدة سكرات الموت ، وما أدراك ما سكرات الموت .

* * *

---

(١) سورة ق : ٢٢ .

(٢) التبصرة (٢ /٢٧٥) لابن الجوزى .

[٣]
هل تعرفين شدة سكرات الموت ؟

أختى المسلمة . .

كيف تقصرين فى الطاعة ، وتفعلين المعصية ، وأنت تعرفين شدة سكرات الموت ؟ !

إن كنتِ تعرفينها ولا تعملين للاستعداد لها فتلك مصيبة ، وإن كنت لا تعرفين ، فاسمعى إلى شدة السكرات ، حتى تنزعجى ، وتتركى السيئات ، وتفعلى الحسنات ، وتستغفرى ربك حتى الممات .

كان ﷺ عند موته يقول :

« **لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات** »[(١)] .

« **اللهم هوّن علىّ سكرات الموت** »[(٢)] .

فتوهمى[(٣)] نفسك يا أمة الله ، وقد صرعت للموت صرعةً ، لا

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٦/ ١٦) ، (٨/ ١٣٣) ، وأحمد (٦/ ١٤٨ ، ٢٧٤) ، والترمذى (٩٨٥) ، والنسائى (٤/ ٤٨) ، وابن حبان (٨/ ٢١٠) ، والبغوى (١٤/ ٤٤) في شرح السنة .

(٢) انظرى السابق .

« سكرات الموت » شدائده عند نزع الروح من البدن .

(٣) التوهم (ص١ -٢) .

تقومين منها إلا إلى السؤال فى القبر ، والحشر إلى ربك .

توهمى نفسك فى نزع الموت ، وكربه ، وغصصه ، وسكراته ، وغمه ، وقلقه .

وقد بدأ ملك الموت يجذب روحك من قدمك ، فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك ، ثم تدارك الجذب ، واستحث النزع ، وجُذبت الروح من جميع بدنك ، حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه ، وعمت آلام الموت جميع جسمك ، وقلبك وجلٌ محزونٌ ، مرتقب ، منتظر للبشرى من الله عز وجل بالغضب أو الرضا .

وقد علمت أنه لا محيص لك دون أن تسمعى إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك .

فبينما أنت فى كربك ، وهمك ، إذ نظرتِ إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن صورةٍ أو أقبحها ، ونظرتِ إليه مادًّا يده إلى فيك ليخرج روحك من بدنك ، فذلت نفسك لمّا عاينت ذلك ، وعاينت وجه ملك الموت ، وتعلق قلبك بماذا يفجؤك من البشرى منه ، إذ سمعت صوته بنغمته : أبشرى يا ولية الله برضا الله وثوابه ، أو أبشرى يا عدوة الله بغضبه وعقابه ، فتستيقنى حينئذ بنجاتك وفوزك ، ويستقر الأمر فى قلبك ، فتطمئن إلى الله نفسك ، أو تستيقنى بعطبك وهلاكك ، ويحلّ الإياس قلبك ، وينقطع من الله عز وجل رجاؤك وأملك ، فتلزمى حينئذ غاية الهم والحزن ، أو الفرح والسرور .

فتوهمى نفسك حين استطار قلبك فرحًا وسرورًا ، أو ملىء حزنًا وعبرة .

أتدرين أختى المسلمة ألم السكرات ؟

هل غفلت عن غمرات الموت ؟

لقد قال عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريين :

ادعوا الله لى ، أن يهون علىَّ سكرة الموت ، فقد خفتُ الموت مخافة أوقفنى خوفى من الموت على الموت .

وكان عمرو بن العاص - رضى الله عنه - يقول :

« لوددت أنى رأيت رجلًا لبيبًا حازمًا ، قد نزل به الموت ، فيخبرنى عن الموت ، فلما نزل به الموت قيل له : يا أبا عبد الله ، كنت تقول أيام حياتك : لوددت أنى رأيت رجلًا لبيبًا حازمًا ، قد نزل به الموت ، فيخبرنى عن الموت ، وأنت ذلك الرجل اللبيب ، الحازم ، وقد نزل بك الموت ، فأخبرنا عنه ، فقال :

أجد كأن السموات أطبقت على الأرض ، وأنا بينهما .

وكأن نفسى تخرج من ثقب إبرة .

أختى المسلمة . .

قال عمر - رضى الله عنه - لكعب الأحبار :

يا كعب حدثنا عن الموت ؟

فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن الموت كغصنٍ كثير الشوك ، أدخل فى جوف رجلٍ ، وأخذت كل شوكة بعرقٍ ، ثم جذبه رجلٌ شديد الجذب ، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ما أبقى .

لقد قيل لموسى عليه الصلاة والسلام :

كيف وجدت الموت ؟

قال : وجدت نفسى كالعصفور حين يُقلى على المقلى ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير .

أختى المسلمة . .

أيدعوك ذلك إلى العودة إلى الله عز وجل ؟ !

ألا تقومين من نوم الغفلة ؟ !

إلى متى تسوفين التوبة ؟ !

إلى متى تقولين سوف أعود ، ولا تعودين ؟ !

تتركين الصلاة ، أو تؤخرينها عن وقتها ، وتظنين أنك مستقيمة ؟ !
تضيعين الأوقات فى فعل السيئات ، وتفرحين ؟ !

قد آن للنائمة أن تستيقظ من نومها ، وحان للغافلة أن تنتبه من غفلتها قبل هجوم الموت بمرارة كأسه ، وقبل سكون حركاتها .

أختى المسلمة . .

هل تنتظرين الندم والخسران ، والحسرة والبكاء ، وأنت على سرير الموت ؟ !

* * *

[٤]
حسرة وندم على سرير الموت

أختى المسلمة . .

هلمى معى لتنظرى وتتأملى فى بعض صور المحتضرين ، وهم يبكون الدموع عند الممات ، حسرة وندامة على ما فات .

*قال الشعبى :

لما طعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أتى بلبنٍ فشرب منه ، فخرج اللبن من طعنته ، فقال : الله أكبر ، وعلم أنه يموت .

فجعل جلساؤه يثنون عليه خيرًا ، فقال : وددتُ أن أخرج منها كفافًا ، كما دخلت لا علىَّ ، ولا لىَّ .

والله ، لو كان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع .

ثم غُشى عليه ، ورأسه بالأرض ، فوضع ابنه عبد الله رأسه بين حجره ، فلما أفاق قال له : ضع رأسى بالأرض ، فقال له : يا أبتاه ، وهل الأرض وحجرى إلا سواء ؟ !

قال عمر : ضع رأسى بالأرض كما أمرتك ، فوضعه .

قال : فمسح خديه بالتراب ، ثم قال : ويلٌ لعمر ، ويلٌ لعمر ، ويلٌ لأم عمر ، إن لم يغفر الله لعمر .

إذا قبضت فأسرعوا بى إلى حفرتى ، فإنما هو خيرٌ تقدمونى إليه أو شرٌ تضعونه عن رقابكم .

* *ولما احتضر عثمان بن عفان – رضى الله عنه – جعل يقول ودمه يسيل : لا إله إلا أنت سبحانك ، إنى كنت من الظالمين ، اللهم إننى أستعينك على أمورى ، وأسألك الصبر على بلائى .

* *ولما احتضر سلمان الفارسى – رضى الله عنه – بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟

قال : والله ما أبكى جزعًا من الموت ، ولا حرصًا على الدنيا ، ولكن عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ قال :

« **ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب** »[1] .

وما أرانى إلا قد تعديتُ .

فلما مات نظروا فى جميع ما ترك ، فإذا قيمته ثلاثون درهمًا ، وقد كان أميرًا على المدائن ، مدائن كسرى .

*ويروى أن عمرو بن العاص – رضى الله عنه – لما دنا منه الموت ، دعا بحرسه ورجاله ، فلما دخلوا عليه قال : –

« هل تغنون عنى من الله شيئًا ؟ » .

قالوا : لا .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (٥ /٤٣٧) ، وابن ماجه (١٤٠٤) ، وابن حبان (٢٤٨٠) ، والحاكم (٤ /٣١٧) ، والطبرانى (٦٠٦٩) في الكبير .

قال : فافترقوا عنى ، ثم دعا بماء فتوضأ ، وأسبغ الوضوء ، ثم قال : احملونى إلى المسجد فحملوه ، فقال : استقبلوا بى القبلة ، ففعلوا ، فقال : اللهم إنك أمرتنى فعصيت ، وائتمنتنى فخنت ، وحدّدت لى فتعديت .

اللهم لا برىء فأعتذر ، ولا قوى فأنتصر ، بل مذنب ، مستغفر ، لا مصر ، ولا مستكبر ، ثم قال : لا إله إلا أنت سبحانك ، إنى كنت من الظالمين .

فلم يزل يرددها حتى مات .

* *ولما حضرت الوفاة معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – قال : الآن أقعدونى ، فأقعدوه ، فجعل يذكر الله ، ويسبحه ، ويقدسه ، ثم قال : الآن تذكر ربك يا معاوية ! ! بعد الانحطام والانهدام ! ! ألا كان ذلك وغض الشباب ، قصير زمان .

وبكى حتى علا بكاؤه ، ثم قال :

هو الموت لا منجا من الموت والذى
أحاذر بعد الموت أدهى وأمر

ثم قال : اللهم ، يا رب ارحم الشيخ العاصى ، فى القلب القاسى ، اللهم أقل العسرة ، واغفر الزلة ، وخذ بحلمك على من لم يرج غيرك ، ولا وثق بأحدٍ سواك .

* * *ولما حضرت أبا هريرة – رضى الله عنه – الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : يبكينى بُعد المفازة ، وقلة الزاد ، وضعف

اليقين ، والعقبة الكؤود التى المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار .

*ولما حضرت الوفاة حذيفة بن اليمان – رضى الله عنه – قال :

اللهم إنى كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لجرى الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، لكن لظمأ الهواجر ، وقيام الليل ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء فى حلق الذكر .

* *ويروى عن محمد بن المنكدر – رحمه الله – أنه لما نزل به الموت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكى جزعًا من الموت ، ولا حرصًا على الدنيا ، ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر ، وقيام ليالى الشتاء .

أختى المسلمة . .

هذا حال الصالحين على سرير الموت : دموعٌ ، وأحزانٌ ، وأسفٌ ، وندمٌ ، وبكاءٌ ، وتأنيبٌ ، وعتابٌ .

كانوا على ما هم عليه من علمٍ وعملٍ ، وزهدٍ وورعٍ ، كانوا قليلًا ما ينامون ، وبالأسحار هم يستغفرون .

ومع ذلك بكوا عند فراق الدنيا لا بكاء الحزن عليها ، ولكن بكاء توديع الأعمال الصالحة ، توديع الصلاة والصيام ، وتوديع الزكاة والحج ، وتوديع قراءة القرآن ، وتوديع الدعاء والاستغفار .

ويلخص هذا الحال ما كان يزيد الرقاشى يقوله لنفسه عند الاحتضار ، كان يقول :

ويحك يا يزيد ، من ذا الذى يصلى عنك بعد الموت ؟ !

من ذا الذى يصوم عنك بعد الموت ؟ !

من ذا الذى يترضى عنك بعد الموت ؟ !

أيها الناس ، ألا تبكون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ !

مَنْ الموت طالبه ، والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر ، كيف يكون حاله ؟ !

إن لمَ تتعظِ ببكاء الصالحين وأسفهم على سرير الموت ، فاسمعى إلى بكاء الطالحين وندمهم .

*يروى عن عبد الملك بن مروان أنه لما حضره الموت ، نظر من موضعٍ له ، مشرف إلي رجلٍ ، وبيده ثوب يضرب به المغسلة ، فقال : يا ليتنى كنت مثل هذا الرجل ، أعيش من كسب يدى يومًا بيومٍ ، ولم أل من هذا الأمر شيئًا .

* *ويروى عن أبى شجاع فناخسرو أنه لما نزل به الموت ، لم يسمع منه إلا قوله : ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَه هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَه** ﴾[1] .

* * *ولما حضرت المأمون الوفاة أمر بحل دابته ، ففرش له فأضجع عليه ، ووضع يده على رأسه ، وجعل يقول : –

« يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه » .

*ولما حضرت المنتصر الوفاة جعل يضطرب ، فقيل له : لا بأس

---

(١) سورة الحاقة : ٢٨ –٢٩ .

عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : هكذا لا بأس علىَّ ، ذهبت عنى الدنيا والآخرة ، وتقولون لى : لا بأس عليك ؟ !

أختى المسلمة . .

وأنت ماذا تقولين على سرير الموت ؟

ابكى لتفريطك فى الأيام الخالية ، وقلة عملك للجنة العالية ، وما ينجيك من النار الحامية .

وبعد . .

ألا يدعوك هذا الكلام إلى العودة إلى عبودية الله ؟

ألا تقفين مع نفسك وقفة تراجعين أحوالك مع الله ؟

* * *

[٥]

هذا حالك فى القبر

أختى المسلمة . .

من الأسباب التى تعينك على العودة إلى عبودية الله ، والقيام بطاعته ، والبُعد عن معصيته : ذكر القبر .

أختى المسلمة . .

هل نسيت أن القبر يناديك ، ويقول لك :

يا ابن آدم ، ويحك ما غرك بى ؟ !

ألم تعلم أنى بيت الدود ؟ ! !

ألم تعلم أنى بيت الفرقة ؟ ! !

ألم تعلم أنى بيت الوحشة ؟ ! !

ألم تعلم أنى بيت الظلمة ؟ ! !

هذا ما أعددتُ لك ، فما أعددت لى ؟

تخيلى أمة الله ، وتوهمى بعقلك أنك الآن فى داخل القبر :

طرحت[1] فى حفرةٍ من الأرض ، قصيرة الطول ، ضيقة العرض ،

---

(١) العاقبة (ص ١٥٢) للإشبيلى .

فاشتدت بها وحشتك ، واستبانت غربتك ، فانضمت عليك ضمة كسرت أنفك ، وشدخت رأسك ، ورضت عظامك ، وملأت ظلمة أرضك ، وأفقك ، من قلبٍ قد نُكس ، وبدنٍ قد رمس ، ونفسٍ قد قصر وحُبس ، وأردت أن تفرى فلم تترك ، وأردت أن تستغيثى فلم تملك .

كنت مفتونة عن هذا المقام ، بما كنت جمعت من حطام ، بل جمعه جميع الأنام من حلالٍ وحرام ، بل بما لا يحصر من أضعاف ذلك ، ولا يُحَدُّ ، ولا يجمع ، ولا يُعد ، ولعلكِ كنتِ فى الدنيا لا ترضين بمنزلك المتسع ، ولا بشملك المجتمع ، ولا تقنعى برزق ربك المتدفق عليكِ المندفع .

فانظرى رحمك الله لنفسك ، وادفعى عنك جوانب هذه الحفرة وخففى عنك من هذه الضمة ، وآنسى من هذه الوحشة ، واعملى ما وجدت سبيلًا للعمل ما دمت فى فسحة ومهل ، ومهدى المضجع ، ووطئى لذلك المصرع ، وارغبى ، وتوسلى ، وتضرعى ، وتذللى ، لعلَّ الإله المعبود الذى جوده الجود ، وكرمه لا محصور ولا معدود ، وفيض نعمه لا مقطوع ولا محدود ، فقطع الرجاء إلا منه ، وسدت الأبواب إلا عنه ، جل وعلا ، وتبارك وتعالى .

أختى المسلمة . .

تذكرى ما يحدث فى القبر من سؤال الملكين ، والتبشير والإنذار من قِبل الملك الموكل بالأعمال .

يقول البراء بن عازب - رضى الله عنه - خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة وجلسنا حوله ، وكأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت فى الأرض ، فجعل ينظر إلى السماء ، وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ، ويخفضه ثلاثًا ، وقال :

« استعيذوا بالله من عذاب القبر » ثم قال :

« إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاعٍ من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفنٌ من أكفان الجنة ، وحنوطٌ من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مُدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، ويقول : أيتها النفس الطيبة ، المطمئنة ، اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان .

فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء ، حتى إذا خرجت روحه ، صلى عليه كل مَلكٍ بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عينٍ حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحنوط .

فذلك قوله تعالى : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُم لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[1] .

ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وُجدت على وجه الأرض .

قال : فيصعدون بها ، فلا يمرون - يعنى بها على ملإٍ من الملائكة -

---

(١) سورة الأنعام : ٦١ .

إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟

فيقولون : فلان بن فلان ، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مُقربُوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا عبدى فى عليين : ﴿ وَمَا أَدْرٰكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[1] .

فيكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال : أعيدُوهُ إلى الأرض ، فإنى وعدتهم منها خلقتهم ، وفيها أُعيدهم ، ومنها أخرجهُم تارةً أخرى .

قال : فيرد إلى الأرض ، وتُعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار ، فينتهرانه ، ويجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟

فيقول : ربى الله .

فيقولان له : ما دينك ؟

فيقول : دينى الإسلام .

فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم ؟

فيقول : هو رسول الله ﷺ .

فيقولان له : وما علمك ؟

فيقول : قرأت كتاب الله تعالى ، فآمنت به ، وصدقت .

فيقولان : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟

---

(١) سورة المطففين : ١٩ – ٢١ .

فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[1] .

فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد ﷺ .

فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى ، فافرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة .

قال : فيأتيه من روحها ، وطيبها ، ويُفسح له[2] فى قبره مُد بصره .

قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك ، أبشر برضوانٍ من الله ، وجناتٍ فيها نعيمٌ مقيمٌ ، هذا يومك الذى كنت تُوعد ، فيقول له :

وأنت فبشرك الله بالخير ، من أنت ؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا فى طاعة الله ، بطيئًا فى معصية الله ، فجزاك الله خيرًا .

ثم يُفتح له بابٌ إلى الجنة ، وبابٌ من النار ، فيقال : هذا منزلك لو عصيت الله ، أبدلك الله به هذا .

فإذا رأى ما فى الجنة ، قال : رب عجل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلى ومالى ، فيقال له : اسكن .

وإن العبد الكافر أو الفاجر إذا كان فى انقطاعٍ من الدنيا ، وإقبالٍ

---

(١) سورة إبراهيم : ٢٧ .

(٢) يوسع له فيه .

من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة ، غلاظ شداد ، سودُ الوجوه ، معهم المسوح[1] من النار ، فيجلسون منه مُدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، ويقول :

أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخطٍ من الله وغضب .

قال : فتفرق فى جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود - الكثير الشعب - من الوصف المبلول ، فتقطع معها العروق والعصب ، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وتغلق أبواب السماء ، ليس من أهل بابٍ إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عينٍ حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن جيفة وُجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على الملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟

فيقولون : فلان بن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يُسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : -

﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾[2] .

فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين ، فى الأرض السفلى ،

---

(١) هو ما يلبس من الشعر على البدن تقشفًا ، وقهرًا للبدن .

(٢) سورة الأعراف : ٤٠ .

ثم يقال : أعيدوا عبدى إلى الأرض ، فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

فتطرح روحه من السماء طرحًا ، حتى تقع فى جسده ، ثم قرأ : -

﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾[1] .

فتعاد روحه فى جسده ، وإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه ، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار ، فينتهرانه ، ويجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟

فيقول : هاه ، هاه ، لا أدرى .

فيقولان له : ما دينك ؟

فيقول : هاه ، هاه ، لا أدرى .

فيقولان له : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟

فلا يهتدى لاسمه ، فيقال : محمد ؟

فيقول : هاه ، هاه[2] ، لا أدرى .

سمعت الناس يقولون ذلك .

فيقال : لا دريت ، ولا تلوت[3] ، فينادى مناد من السماء : أن

---

(١) سورة الحج : ٣١ .

(٢) هاه هاه : كلمة تقال للتوجع ، وهى فى الأصل للضحك والإيعاذ .

(٣) أى لا فهمت ، ولا قرأت القرآن ، أو دريت ، ولا اتبعت من يدرى .

كذب ، فافرشوا له من النار ، وافتحوا له بابًا من النار ، فيأتيه من حرها ، وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه[1] ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسؤوك ، هذا يومك الذى كنت تُوعد .

فيقول : وأنت فبشرك الله بالشر ، من أنت ؟

فوجهك الوجه يجيء بالشر .

فيقول : أنا عملك الخبيث ، فوالله ما علمت إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله ، سريعًا إلى معصية الله ، فجزاك الله شرًا .

ثم يقيض له أعمى ، أصم ، أبكم ، فى يده مرزبة ، لو ضُرب بها جبلٌ كان ترابًا ، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابًا ، ثم يعيده الله كما كان ، فيضربه ضربة أخرى ، فيصيح صيحة يسمعه كل شيءٍ إلا الثقلين ، ثمُ يفتح له بابٌ من النار ، ويُمهد من فرش النار .

فيقول : رب لا تقم الساعة[2] .

أختى المسلمة . .

هذا الحديث النبوى يعلمك الكثير :

يعلمك أن الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ، واليقين فى حدوثه .

---

(١) جمع ضلع ، وهو عظم الجنب .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) ، وأحمد (٤ /٢٨٧) ، وابن المبارك (٤٣١) في الزهد ، وابن أبى شيبة (٣ /٣٨٠) ، والطيالسى (٧٥٣) ، والحاكم (١ /٣٧ –٤٠) .

ويرشدك إلى أن من كانت مع الله تعالى فى الدنيا ، كان الله معها فى حالة الموت ، وأعانها على الحياة البرزخية .

ويفهمك أن المنافقة ، والكافرة ينساها الله تعالى من رحمته عند الموت ، ولا يثبتها فى قبرها .

ويعرفك أن أهل السماء يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، ويدعون على المنافقين والمنافقات ، والكافرين والكافرات .

ويفرحك لأن أبواب السماء ترحب بالمؤمنات ، وتغلق أمام الكافرات .

ويعلمك أن المؤمنة فى قبرها فى روضة من رياض الجنة ، أما العاصية والمنافقة والكافرة فهى فى حفرة من حفر النار .

أختى المسلمة . .

كيف تؤمنين بعذاب القبر ونعيمه ، ولا تعملين ؟ !

أين صلاتك وصيامك ؟

بل أين استغفارك وبكاؤك ؟

تذكرى أن الموت لو جاءك الآن لأخذك على أسوء حال ، ولو دخلت قبرك لطال ندمك واشتدت حسرتك .

أما التى تدخل إلى قبرها ، ومعها الصلاة ، والصيام ، والدعاء ، والاستغفار ، وقراءة القرآن ، فهى فى أمن وأمان ، وراحة بال ، لأنهن سوف يحججن عن صاحبتهن .

قال كعب الأحبار ، رحمه الجبار :

إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة : الصلاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، والصدقة ، فتجىء ملائكة العذاب من قِبل رجليه ، فتقول الصلاة :

إليكم عنه ، فقد أطال القيام لله عليهما .

فيأتون من قبل رأسه ، فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه ، فقد أطال ظمأه لله تعالى فى الدنيا .

فيأتون من قبل جسده ، فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه ، فقد أنصب نفسه ، وأتعب بدنه ، وحج ، وجاهد لله عز وجل ، لا سبيل لكم عليه .

فيأتونه من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى ، فكم من صدقةٍ خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء وجهه ، فلا سبيل لكم علنيه .

فيقال : هنيئًا ، طيبًا ، حيًّا ، وميتًا .

ويأتيه ملائكة الرحمة ، فتفرشه فراشًا من الجنة ، ودثارًا من الجنة ، ويفسح له قبره مُدّ البصر ، ويؤتى بقنديل من الجنة ، فيستضىء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره .

أختى المسلمة . .

أما آن أن تعودى إلى طاعة الله ؟ !

اسمعى يزيد الرقاشى - رحمه الله - وهو يقول :

بلغنى أن الميت إذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ، فأنطقها الله تعالى ، فقالت : أيها العبد المنفرد فى حفرته ، انقطع عنك الأخلاء ، والأهلون ، فلا أنيس لك اليوم غيرنا .

ثم يبكى ، ويقول : طوبى لمن كان أنيسه صالحًا ، طوبى لمن كان أنيسه صالحًا ، والويل لمن كان أنيسه وبالًا .

ويقول ثابت البنانى رحمه الله : -

إذا وضع الميت فى قبره احتوشته أعماله الصالحة ، وجاء ملك العذاب ، فتقول له بعض أعماله : إليك عنه ، فلو لم يكن إلا أنا لما وصلت إليه .

وإذا مات العبد الصالح ، فوضع فى قبره أتى بفراشٍ من الجنة ، وقيل له : نم هنيئًا ، لك قرة العين ، فرضى الله عنك .

ويفسح له فى القبر مُدّ بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فينظر إلى حسنها ، ويجد ريحها ، وتحتوشه أعماله الصالحة : الصلاة ، والصيام ، والبر ، فتقول له : أنصبناك ، وأظمأناك ، وأسهرناك ، فنحن اليوم بحيث تحب ، نحن أنساؤك حتى تصير إلى منزلك من الجنة .

أختى المسلمة . .

لن ينفعك أحدٌ عند دخولك إلى القبر إلا عملك ، فهل أحسنت العمل ؟ !

سيتخلى عنه الوالدان ، والولدان ، والأزواج ، والإخوة ، الكل يتركك وعملك ، فكيف تنسين إحسان العمل ؟

يقول عطاء بن يسار رحمه الله :

إذا وضع الميت فى لحده ، فأول شيءٍ يأتيه عمله ، فيضرب فخذه الشمال ، فيقول :

أنا عملك ، فيقول : فأين أهلى ، وولدى ، وعشيرتى ، ما خولنى الله تعالى ؟

فيقول : تركت أهلك ، وولدك ، وعشيرتك ، وما خولك الله وراء ظهرك ، فلم يدخل معك غيرى .

فيقول : يا ليتنى آثرتك على أهلى ، وولدى ، وعشيرتى ، وما خولنى الله تعالى ، إذ لم يدخل معى غيرك .

أختى المسلمة . .

أين أنتِ من القرآن الكريم ، وهو خير أنيس ؟ !

إنى أراك قصرت فى حق القرآن ، وجعلتيه وراء ظهرك مهجورًا .

لقد أصبحت لا تحفظين منه إلا بعض السور التى تُعد على الأصابع ! !

إن القرآن صار حجة عليك ، بأنك أسأت العمل ، وسوفت فى التوبة .

فكيف تنتظرين أن يدافع عنك القرآن فى القبر ؟ !

أم كيف تطلبين أن يثبتك ؟ !

قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه : -

إذا حضرت الوفاة المؤمن المتهجد بالقرآن ، جاء القرآن فوقف عند رأسه ، وهم يغسلونه ، فإذا فرغ منه دخل حتى صار بين صدره وكفنه ، فإذا وضع فى قبره ، جاء منكر ونكير ، خرج حتى صار بينه وبينهما ، فيقولان له :

إليك عنا ، فإنا نريد أن نسأله فيقول : والله ما أنا بمفارقه ، وإن كنتما أمرتما فيه بشيءٍ فشأنكم ، ثم ينظر إليه ، فيقول : هل تعرفنى ؟

فيقول : لا . فيقول : أنا القرآن الذى أسهر ليلك ، وأظمأ نهارك ، وأمنعك شهوتك ، وسمعك ، وبصرك فستجدنى من الأخلاء : خليل صدق ، فأبشر فما عليك بعد مسألة منكر ونكير من همٍ ، ولا حزن ، ثم يخرجان عنه .

أختى المسلمة . .

ألا تبكى جنايات الشباب التى بها اسودَّ الكتاب .

أين بكاؤك على هجرك القرآن ؟

أين حذرك من أليم العقاب ؟

أين قلقك من خوف العتاب ؟

انظرى إلى حالك ، وتأملى فى نفسك ، تجدين أنها قد تغلبت على أحوالك ، وأنك كلما أحببت شهوة سارعت فى القيام بها .

انظرى إلى أثر نفسك عليك ، جعلت عملك بالنفاق مغشوشًا ، وإذا هممت بالمعاصى تنسيك يوم النعوش .

لو رأيتِ العاصية وقد شقيت فى القبر ، وما سعدت ، ويوم القيامة اشتد عطشها وما سُقيت ، لعلمت أن البلاء من نفسك ، لا من غيرك .

ورحم الله أم عثمان بن سودة الطفاوى ، قالوا عنها من شدة عبادتها فى محرابها : الراهبة .

كانت تقف فى محرابها بعد نوم أولادها تناجى ربها ، وتأخذ زادًا يعاونها على متاعب حياتها .

ومرت الأيام تلو الأيام حتى جاء يوم احتضارها ، وجلست على سرير الموت ، وسمعها ابنها عثمان فى آخر أنفاسها تناجى ربها ، وتقول ، والبكاء يغلب كلماتها :

« يا من عليه اعتمادى فى حياتى ، وبعد مماتى ، لا تخذلنى عند الموت ، ولا تُوحشنى فى قبرى » .

حتى فاضت روحها ، وهى تتمتم بقولها ، ولكن لم ينسها ربها عز وجل ، فيرى ابنها فى منامه رؤية طيبة ، يقول عثمان الطفاوى عن تلك الرؤية ما يلى :

لما ماتت أمى ، كنت آتيها فى قبرها وأدعو لها ، وأستغفر لها ، ولأهل القبور .

قال : فرأيتها ذات ليلة فى منامى ، فقلت لها : يا أماه كيف أنت ؟

قالت : أى بُنى ، إن للموت لكُربة شديدة ، وأنا بحمد الله لفى برزخٍ محمودٍ ، تفترش فيه الريحان ، وتتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور .

فقلت : ألك حاجة ؟

قالت : نعم ، لا تدع ما أنت عليه من زيارتى ، والدعاء لى ، فإنى لأُبشر بمجيئك إذا أقبلت ، يقال لى : يا راهبة ، هذا ابنك ، قد أقبل من أهله زائرًا لك ، فأُسر بذلك ، ويُسر بذلك من حْولى من الأموات .

أختى المسلمة . .

انظرى ، وتأملى فى جزاء أم عثمان فى برزخها ألا ترجين مثل هذا ؟

إن إجابتك واضحة كوضوح الشمس فى منتصف النهار ، بأنك تريدين بكل جارحة من جوارحك ، وبكل ما بك من الأنفاس مثل ذلك ، ولكن :

أليس لتلك الأمنية من عملٍ ؟ ! !

أم عثمان – رحمها الله تعالى – عملت فوجدت ، وأنت لا تعملين وتريدين ! ! !

جاهدى نفسك حتى تتغلبى على شهواتها ، تمسكى بزمامها ، يرض عنك الرحمن ، وهنالك سوف تفوزين بالجنان ، وإلا فقد خسرت الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

نعوذ بالله من الخذلان ، ونكمل المسير مع الأسباب التى تعين النساء على عبودية الرحمن جل جلاله .

[٦]
تذكرى طول النوم فى القبور

أختى المسلمة . .

كيف تعبدين الله ، وأنت لا تتذكرين طول الرقاد فى القبور ؟ !

لقد كانت إحدى الصالحات تُصلى الليل ، فإذا طلع الفجر تقول :

يا نفس ، كم تنامين ؟ !

وإلى كم تقومين ؟ !

يوشك أن تنامى نومةً لا تقومين منها إلا يوم النشور .

وكانت عمرة امرأة حبيب العجمى صالحة من نساء السلف الصالحات ، أفنت عمرها فى طاعة ربها ، وكانت تشعر بمعنى طول النوم فى القبور .

يقول زوجها : انتبهت ليلة من نومى ، وامرأتى تنبهنى قبل وقت السحر ، وهى تقول :

« قم يا رجل » .

« قد ذهب الليل ، وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد ، وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ، ونحن قد بقينا » .

أختى المسلمة . .

تأملى معى فى كلمات عمرة - رحمها الله تعالى - : « ذهب الليل وجاء النهار » وكأنها تتحسر على ضياع الوقت ، لأن بضياعه تفقد جزءًا من عمرها .

فهلا انتبهت إلى ضياع أوقاتك سُدى ، وعبثًا ، وأنك لم يخلقك الله تعالى سُدى أو عبثًا ؟

« بين يديك طريق بعيد » .

نعم أختى المسلمة أمامك رحلة الحياة بطولها ، أمامك المُكث فى القبر إلى ما لا يعلم من السنين .

وأمامك البعث ، والحشر ، والميزان .

وأمامك الوقوف بين يدى الرحمن .

حقًا إنه طريقٌ بعيدٌ إلى أن تصلى إلى جنة عالية ، وعيشة راضية .

« وزاد قليل » .

حسناتك أختى المسلمة تُعَد على الأصابع ، وسيئاتك لا تحصى ولا تُعد ، فيا له من أمرٍ فظيع مخيف ! !

زادك قليل لكثرة نومك .

زادك قليل لكثرة لهوك ولعبك .

زادك قليل لقلة علمك على من تقدمين .

زادك قليل لأنك رغبت فى الدنيا ، وزهدت فى الآخرة .

أختى المسلمة . .

إنما الليل والنهار مراحل تقطعينها فى دنياك مرحلةً بعد مرحلة حتى ينتهى بك سفرك إلى قبرك حيث عملك ، فإن استطعت أن تقدمى كل يومٍ زادًا لما بين يديك فافعلى ، فإن انقطاع السفر عن قريب جدًا .

« وقوافل الصالحين صارت قدامنا » .

تأملى فى أحوال نساء سلفك الصالحات ، تجدين منهن : الفقيهات والمحدثات ، والزاهدات ، والعابدات ، والذاكرات ، والصائمات هن جميعًا - قافلة الصالحات - سبقن إلى طاعة الرحمن ، ومُتن على ما عشن عليه .

وتأملى فى حال نساء اليوم تجدين منهن إلا ما رحم ربى : الكذابات ، والمنافقات ، والعباثات ، والفارغات من الأعمال الصالحات .

فانتبهى من غفلتك ، وسيرى فى قوافل الصالحات ، حتى يدركك الممات ، وأنت فى أحسن الحالات .

ليكن حالك كالمعاتبة نفسها ، وما أدراك ما المعاتبة نفسها ، ثم ما أدراك ما المعاتبة نفسها ؟!

من عابدات الكوفة ، حسنت سيرتها ، وذاع صيتها ، بأنها من اللواتى لا ينمن من الليل إلا قليلًا .

وذات يومٍ عاتبها أحد أقاربها على كثرة صلاتها ، وعدم التخفيف على نفسها ، فقالت رحمها الله :

« كفى بالموت ، وطول الرقدة فى القبور للمؤمنات رُقادًا » .

وكأنها – رحمها الله تعالى – تقول لنساء اليوم ، اللواتى صرن لا يعرفن لذة كلذة الرقاد :

إن النوم فى القبور طويلٌ .

والوقوف أمام الله أطول .

والخلود فى جنةٍ أو نارٍ أبد الآباد .

وكانت مع قيامها فى ليلها بعبادة ربها ، تصوم أيامًا تطوعًا فى نهارها . وذات يومٍ كانت صائمة ، واشتد الحر ، وطال عطشها ، فقال لها بنوها : هلا أفطرت يومك هذا ، وتنعمت بالرى من العطش .

فقالت فى ثبات المؤمنات : إنما أبحث عن طول الرى ، والشبع فى الآخرة .

فيا أيتها الأخت المسلمة هل اتعظت ؟ !

أم هل تنتظرين أن يأتيك ملك الموت وما تبت ؟

أم هل تنتظرين بغتة المرض ، وما قدمت ؟

تذكرى أن دقات قلبك قائلة لك : إن الحياة دقائق وثوانى ، فهلمى اجتهدى فى الطاعة ، وابتعدى عن المعصية .

* * *

[٧]

تذكرى يوم الخروج من القبور

أختى المسلمة . .

كيف تقصرين فى عبودية الله تعالى ، ويوم القيامة أمامك ؟

أم كيف لا تقومين بحق العبودية ، والقيامة موعدك ؟ !

هل نسيت يوم الزلزلة ؟ !

اسمعى إلى أسماء هذا اليوم العظيم ، وتدبرى فى معانيها عساك أن تفيقى ، وإلى ربك تعودى .

يوم القيامة هو يوم الواقعة ، ويوم الراجفة ، ويوم الرادفة ، ويوم الغاشية ، وهو الداهية ، ويوم الآزفة ، ويوم الحاقة .

يوم التلاق ، ويوم الفراق .

يوم المساق ، ويوم الإشفاق .

يوم الطآمة الكبرى ، والصآخة العظمى .

يوم البكاء ، ويوم البلاء .

يوم النشور ، ويوم المصير .

يوم الزجرة ، ويوم السكرة .

يوم الفزع ، ويوم الجزع .

اليوم الموعود ، واليوم المشهود .

يوم الصيحة ، ويوم الزحف .

يوم لا تجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئًا .

يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه .

يوم يعض الظالم على يديه .

توهمى[1] أيتها المسلمة ، وتخيلى أنك وثبت من قبرك ، قائمة على قدميك ، شاخصة ببصرك ، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورةً واحدةً ، وهم مغبرون من غبار الأرض .

فتوهمى نفسك بعريك ، ومذلتك ، وانفرادك بخوفك ، وأحزانك ، وغمومك ، وهمومك فى زحمة الخلائق ، عراة ، حفاة ، صموت أجمعون بالذلة والمسكنة ، والمخافة والرهبة ، فلا تسمع إلا همس أقدامهم .

حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراةً ، حفاةً ، قد نُزع من ملوك الأرض ، ولزمتهم الذلة والصغار ، فهم أذل أهل الجمع ، وأصغرهم حلقةً وقدرًا بعد عتوهم وتجبرهم على عباد الله عز وجل فى أرضه .

ثم ازدحمت الأمم وتدافعت ، فدفع بعضها بعضًا ، وتضايقت ، فاختلفت الأقدام ، وانقطعت الأعناق من العطش ، واجتمع حر الشمس ، ووهج أنفاس الخلائق ، وتزاحم أجسامهم ، ففاض العرق منهم سائلًا حتى بلغ من بعضهم العرق كعبيه ، وبعضهم إلى وسطه ،

---

(١) التوهم (ص ٥) .

وبعضهم إلى شحمة أذنيه ، ومنهم من قد كاد أن يغيب فى عرقه ، ومن قد توسّط العرق دون ذلك .

فتوهمى نفسك لكربك ، وقد علاك العرق ، وأطبق عليك الغم ، وضاقت نفسك فى صدرك من شدة العرق ، والفزع ، والرعب .

والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو دار الشقاء .

قال الحسن البصرى رحمه الله : –

ما ظنك بأقوامٍ قاموا لله عز وجل على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة ، لم يأكلوا فيها أكلة ، ولم يشربوا فيها شربة ، حتى إذا انقطعت أعناقهم من العطش ، واحترقت أجوافهم من الجوع ، انصرف بهم إلى النار ، فسُقوا من عينٍ آنية قد آن حرها ، واشتد لفحها .

فتوهمى اجتماع أصوات البكاء ، بكاء الخلائق عند زفيرها ، وشهيقها ، وينادى الظالمون بالويل والثبور ، وينادى كل مصطفى وصديق ، ومنتخب وشهيد ، وجميع العوام : نفسى ، نفسى .

أختى المسلمة . .

لقد كانت جارية خالد الوراق تقول : –

كيف لى بحسرة السباق ؟ قيل لها : وما حسرة السباق ؟

قالت : غداة الحشر ، إذا بُعثر ما فى القبور ، وركب الأبرار نجائب الأعمال ، فاستبقوا إلى الصراط ، والله لا يسبق مقصرٌ مجتهدًا أبدًا ، ولو حبا المجد حبوًا .

أم كيف لى بموت الحزن والكمد ؟ قيل : وما موت الحزن والكمد ؟

قالت : إذا رأيت القوم يتراكضون ، وقد رُفعت أعلام المحسنين ، وجاز الصراط المشتاقون ، ووصل إلى الله المحبون ، وخُلِّفتُ مع المسيئين المذنبين ؟ !

وأنت أختى المسلمة مع مَنْ تكونين ؟

هل أنتِ مع المحسنات أم مع المقصرات ؟

هل أنتِ مع المحبات أم من المذنبات ؟

ورحم الله زجلة العابدة التى كانت من المحسنات ، ولله من المحبات .

دخل عليها بعض أهلها ، وسألوها أن ترفق بنفسها فى عبادة ربها .

فقالت : مالى وللرفق بها ، فإنما هى أيام مُبادرة ، فمن فاته اليوم شئٌ لم يدركه غدًا .

والله يا إخوتاه ، لأصلين ما أقلتنى جوارحى ، ولأصومن له أيام حياتى ، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى .

أيكم يأمر عبده ، ويحب أن يُقصر فيه ؟ !

ألا يدعوك ذلك إلى الاستيقاظ من غفلتك ؟ !

ألا يحرك فيك دواعى الخير والتسابق إليه ؟ !

ورحم الله القائل : –

أنا مشغولٌ بذنبى ... عن ذنوب العالمينا

وخطايا أثقلتنى ... تركت قلبى حزينا

صرت فى الأرض وحيــدًا فى جـــوار الهالكينــــا
بعدمــا كــنت جلــيلًا فى عيـــون الناظرينـــا
صرت فى ظلمـــة قبرى ثاويًـــا فيها رهينـــا
وتـــركت المال والأهـــل لعمـــرى والبنينـــا
ولقـــد عمـــرت دهـــرًا وشهـــورًا وسنينـــا
فى نـــــعيم وسرور فـــوق وصف الواصفينـــا
وملــكت الشرق والغـــرب وكان الملك فينــــا
وفتـــحت المدن قهـــرًا وغلـــبت الغالبينـــا
فـــأتى الموت علينـــا بعـــد هـــذا ففنينـــا
أيها المغـــرور بـــادر لثـــواب الصالحينـــا
والـــذى صح لدينـــا وعلمنـــاه يقينـــا
أن حيًـــا لـــيس يبقـــى غير رب العالمينـــا

* * *

[٨]

تذكرى وقوفك بين يدى الله

أختى المسلمة . .

هل نسيت يوم القيامة ؟ !

ما أسرع إجابتك بأنك تذكرينه ، ولم يحدث أبدًا كأن نسيتيه ، ولكن بأعمالك نسيت هذا اليوم العظيم .

وبتركك للصلاة نسيت يوم القيامة .

وبهجرك للقرآن نسيت القيامة .

وبعقوق والديك نسيت يوم القيامة .

فتفكرى أيتها المسكينة[1] ، وقد ضاقت نفسك ، وزاد قلقك ، وسال عرقك ، وجرى من جميع بدنك من رأسك إلى قدمك ، ووصل منك إلى حيث أوصلتيه بعملك ، إما إلى كعبك ، أو صاعدًا حتى أذنك ، فانظرى إلى هذا الحال ، وتفكرى فى هذا الوبال ، وهول هذا المآل .

واعلمى أنه لو سال عرقك فى الدنيا طوال عمرك ، وأضعاف عمرك فى طاعة ربك ، وفى التعب فى رضى ربك على أن لا تغرق فى ذلك اليوم لكان ذلك يسيرًا ، ولكنت بهٰ جديرة ، ولكانت سلامتك منه غنمًا

---

(١) العاقبة (ص ١٨٧) للإشبيلى .

كثيرًا ، وفوزًا كبيرًا .

وفى هذا المعنى يقول أحد الشعراء :

مَثِّل وقوفك يوم العرض عريانا   مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق   على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل   فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته   إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى   وامضوا بعبدٍ عصا للنار عطشانا
المشركون غدًا فى النار يلتهبوا   والمؤمنون بدار الخلد سكانا

توهمى أيتها المسلمة إذا تطايرت الكتب ، ونصبت الموازين ، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق : أين فلانة بنت فلان ، هلمى إلى العرض على الله تعالى ، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله ، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك ، واسم أبيك ، إذ عرفت أنك المرادة بالدعاء ، إذ قرع النداء قلبك فعلمت أنك المطلوبة ، فارتعدت فرائصك ، واضطربت جوارحك ، وتغير لونك ، وطار قلبك ، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه ، والوقوف بين يديه ، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم ، وأنت فى أيديهم ، وقد طار قلبك ، واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك ! !

فتوهمى نفسك وأنت بين يدى ربك فى يدك صحيفة مخبرة بعملك ، لا تغادر بلية كتمتيها ، ولا مخبأة أسررتيها ، وأنت تقرئين ما فيها بلسانٍ كليلٍ ، وقلبٍ منكسرٍ ، والأهوال محدقة بك من بين يديك ، ومن خلفك .

فكم من بليةٍ قد كنت نسيتها ذكّرَكيها ! !

وكم من سيئةٍ قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها ! !

وكم من عملٍ ظننت أنه سلم لك ، وخلص فرده عليك فى ذلك الموقف ، وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيمًا ! !

فيا حسرة قلبك ، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك .

ماذا تقولين عندما تعرضين لا تخفى منك خافية ؟ !

ألا يدعوك هذا إلى مراجعة نفسك ؟ !

ألا يدعوك إلى إعادة التوبة وتصحيحها ؟ !

ألا يدعوك ذلك إلى النهوض إلى الطاعة ؟ !

هلمى معى ندعو الله سويًا أن يثبت قلوبنا على دينه ، وعلى طاعته ، ويوفقنا لدخول جنته ، إنه هو القادر على ذلك ، سبحانه وتعالى .

أختى المسلمة . .

إن الوقوف بين يدى الله تعالى أمرٌ لا مرية فيه ، بل هو حقيقة لا شك فيها .

قال صفوان بن محرز المازنى رحمه الله تعالى : -

بينما أنا أمشى مع ابن عمر - رضى الله عنهما - آخذٌ بيده ، إذ عرض رجلٌ فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ فى النجوى ؟

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : -

« إن الله يدنى المؤمن ، فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول :

أتعرف ذنب كذا ؟ !

أتعرف ذنب كذا ؟ !

فيقول : نعم أى رب ، حتى إذا قرَّره بذنوبه ، ورأى فى نفسه أنه هالك ، قال : سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته .

وأما الكافر ، والمنافقون ، فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة على الظالمين »[1] .

هلمى معى ، وتأملى ، ثم تفكرى وتدبرى :

قوله : « كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى ؟ » .

هى ما تكلم به المرء يسمع نفسه ولا يسمع غيره ، وقيل : أصله من النجاة ، وهى أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه .

والمراد هنا : المناجاة التى تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين .

قوله : « يدنو أحدكم من ربه » وفى لفظ : « يدنو المؤمن من ربه » أى يقرب منه .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٢٤٤١) ، (٤٦٨٥) ، ومسلم (٢١٢٠) وأحمد (٢ /١٠٥) ، وابن ماجه (١٨٣) .

فتأملى[1] ، وتفكرى فى نفسك ، وقد جىء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملكٍ يجرونها ، حتى تكون بمرأى من الخلق ، ومسمع ، يرون لهيبها ، ويسمعون زفيرها ، إذ أخذ بضبعيك ، وقبض على عضديك ، وجىء بك تتخطى الرقاب ، وتخترق الصفوف ، والخلائق ينظرون إليك ، حتى وقفت بين يدى الله تعالى ، فسئلت عن القليل والكثير ، والنقير والقطمير ولا تجدى أحدًا يجاوب عنك بلفظةٍ ، ولا يعينك بكلمةٍ ، ولا يرد عنك جوابًا فى مسألةٍ ، وأنت قد شاهدت من عظم الأمر ، وجلالة القدر ما أذهب بيانك ، بل ما أخرس لسانك ، وأذهل جنانك ، ونظرت يمينًا وشمالًا ، وبين يديك فلم تر إلا النار ، وعملك الذى كنت تعملين ، وكلمك رب العزة بغير حجابٍ يحجبك ، ولا ترجمان يترجم لك .

وسئلت عن كل شيءٍ كان منك فى حق نفسك ، وحق غيرك .

وقيل : مالك من أين اكتسبتيه ؟ وفيم أنفقتيه ؟ !

فما ظنك بنفسك فى ذلك اليوم ؟

وكيف يكون فزعك وجزعك ؟

وكيف تكون حيرتك ، ودهشتك ، إذا قيل لك : عاملت فلانة يوم كذا وكذا فى كذا وكذا ، وأخذت منها كذا وكذا ، وغبنتيها فى كذا وكذا ، وتركت نصيحتها فى هذه السلعة ، ولم تبين لها هذا العيب ، أو غصبت فلانة ، وظلمت فلانة ، أو غششت فلانة ، فانظرى بأى

---

(١) العاقبة : (ص ٢١٠) .

بدنٍ تقفين بين يديه عز وجل ؟ وبأى لسانٍ تجيبين ، فأعدى للسؤال جوابًا ، وللجواب صوابًا .

وتفكرى الآن وانظرى بأى قدمٍ تقفين فى ذلك المقام ، أو بأى أُذنٍ تسمعين ذلك الكلام .

انظرى ما شئت من قلبٍ يُخلع ، وكبدٍ تصدع ، ولسانٍ يتلجلج ، وأحشاء تتموج ، ونفسٍ تريد أن تخرج فلا تُترك أن تخرج .

فانظرى ما أشأم تلك الأرباح التى ربحتيها ، وأخسر تلك المعاملات التى عاملت بها .

انظرى كيف ذهبت عنك مسرتها ، وبقيت حسراتها ! !

والشهوات التى فى ظلم العباد أنفذتيها ، كيف ذهب عنك الفرح بها ؟ ! وبقيت تبعتها ! ! !

وانظرى الآن . . . بكم تفتدين من ذلك الموقف ؟ !

وبكم تتخلصين من ذلك السؤال ؟ !

أتقولين لو كان لك نصف الدنيا كنت تعطينها فى التخلص من ذلك الموقف ؟ !

أى لعمر الله والدنيا وأضعافها مرات ، فكيف ولم يحصل لك فى عصرك إلا دريهمات يسيرة ، أنفقتيها فى أيامٍ يسيرة ، وربما لم تنفقيها .

اعلمى أن فى هذا اليوم يصدق الله تعالى قوله : -

﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم

بعلمٍ وما كنا غائبين ﴾[1] .

وقوله : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾**[2] .

فيبدأ بالأنبياء فيقول عز وجل : ﴿ **ماذا أجبتم ؟ ﴾**[3] .

قيل فى تفسيرها : ما كانوا قد عملوا ، لكن دهشت عقولهم ، وعزمت أفهامهم ، ونسوا من شدة الهول ، وعظم الخطب ، وصعوبة الأمر ، فقالوا : ﴿ **لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾**[4] .

ثم يدعو الله تعالى نوحًا عليه الصلاة والسلام ، فيقول : لبيك وسعديك يا رب .

فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟

فيقول لأمته : هل بلغكم ؟

فيقولون : ما أتانا من نذير ! !

فيقول : من يشهد لك ؟

فيقول : محمدٌ وأمته ، فتشهدون أنه قد بلغ - ويكون الرسول عليكم شهيدًا[5] ؟ !

---

(١) سورة الأعراف : ٦ -٧ .

(٢) سورة الحجر : ٩٢ -٩٣ .

(٣) و(٤) سورة المائدة : ١٠٩ .

(٥) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٨ /١٧١) ، وأحمد (٣ /٣٣) ، وابن ماجه (٤٢٨٤) .

فذلك قوله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس** ﴾[1] .

فكيف حالك أيتها المسلمة فى ذلك اليوم العظيم ؟ !

فتمثلى حالك ، وكيف أنت[2] ؟ ! ! وقد امتلأت القلوب خوفًا وجزعًا ، ورعبًا وفزعًا ، وارتعدت الفرائص ، وبلغت القلوب الحناجر ، واصطفقت الأحشاء ، وتقطعت الأمعاء ، وطلبوا القرار فلا فرار ، وطاروا لو يصادفون مطار ، وجثت الأمم على الركب ، وأيقن المذنبون بالهلاك والعطب وسوء المنقلب ، وينادى الأنبياء ، والصديقون ، والأولياء : نفسى نفسى .

كل نفسٍ قد أفردت لسانها ، وقد تركت لما بها ، وظن كل إنسان أنه هو المأخوذ ، وأنه هو المقصود ، وذهلت العقول ، وطاشت الألباب ، وتحيرت الأذهان ، وفر المؤمن من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، واشتغل بشأنه الذى يعينه ، وسئل عن جميع أمره ، سره وجهره ، دقيقه وجليله ، كثيره وقليله .

وسئل عن أعضائه عضوًا عضوًا ، وجارحة جارحة ، وعن شكره عليها ، وهل أدى حق الله فيها ؟

وظهرت القبائح ، وكثرت الفضائح ، وبدت المخازى ، واشتهرت المساوىء ، وتركك الأهل والأقربون ، ولم ينفعك مالٌ ولا بنون ،

---

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) العاقبة : (ص ٢١٤) .

وأقبلت تجادلين عن نفسك ، وتخاصمين عنها ، وتطلبين المعاذير لها ، إذ قد اشتغل كل إنسان بنفسه .

وبعد . .

أما آن أن تعودى ؟

وإلى ربك تتوبى ؟

ألم يقرع سمعك هذا النداء ؟

ألم يخلع قلبك ذلك الروع ؟

أقام خوفك هذا بأمنك فى الدنيا ؟ !

أقام حزنك هذا بفرحك فى الدنيا ؟ !

أقام ذُلُّك هذا بعزك فى الدنيا ؟ !

أتقوم نعمتك فى الدنيا ببؤسك فى هذا اليوم ؟ !

فكيف إن نوقشت الحساب ؟ !

ووجب عليك العذاب ؟ !

وضرب بينك وبين ربك بحجاب ؟ !

وسد بينك وبين رحمته بباب ؟ ! ليس كسائر الأبواب .

هلمى عودى إلى الصلاة والصيام .

هلمى أكثرى من الاستغفار قبل الملام .

* * *

[٩]
تذكرى المرور على الصراط

أختى المسلمة ..

لا سرور ، ولا فرح ، ولا سعادة للمرأة المسلمة إلا يوم عبورها فوق الصراط إلى الجنة .

فتذكرى يوم يجمع الله تبارك وتعالى فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة[١] فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة .

فيقول لهم : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ !

لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابنى إبراهيم خليل الله .

قال : فيقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : لست بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلًا من وراء وراء[٢] ، اعمدوا إلى موسى الذى كلمه الله تكليمًا .

---

(١) تزلف : تقرب .

(٢) كنت خليلًا من وراء وراء : هذه كلمة تذكر على سبيل التواضع ، أى لست بتلك الدرجة الرفيعة .

قال النووى : معناه أن المكارم التى أعطيتها كانت بوساطة سفارة جبريل عليه الصلاة والسلام ، ولكن ائتوا موسى ، فإنه حصل له سماع الكلام بغير واسطة .

فيأتون موسى عليه الصلاة والسلام ، فيقول : لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام كلمة الله وروحه .

فيقول عيسى عليه الصلاة والسلام : لست بصاحب ذلك .

فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم ، ويؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم[١] فيقومان جنبتى الصراط[٢] يمينًا وشمالًا .

فيمر أولكم كالبرق .

قال : قلت : بأبى أنت وأمى ، أىُّ شىءٍ كمرّ البرق ؟

قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ، ويرجعُ فى طرفة عين ؟ ! !

ثم كمَرّ الريح ، ثم كمر الطير ، وأشد الرجال ، تجرى بهم أعمالهم ، ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلّم سلّم .

حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا . قال : وفى حافتى الصراط كلاليب[٣] مُعلقةٌ مأمورةٌ بأخذ من أُمرت به ، فمخدوش ناجٍ ، ومكدوسٌ فى النار[٤] .

---

(١) إرسال الأمانة والرحم فهو لعظم أمرهما ، وكثير موقعهما ، فتصوران شخصتين على الصفة التى يريدها الله تعالى ، فهما تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما .

(٢) جنبتا الصراط : جانباه .

(٣) جمع كُلوب : وهو الخطاف من الحديد .

(٤) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (٣ / ٧٠ -٧٢) .

أختى المسلمة . .

لعلك تظنين أن السير على الصراط كالسير فى طريقٍ من طرق الدنيا الصعبة الوعرة !!

لا والله ، بل هو أحدُّ من السيف ، وأدق من الشعرة !!

فتوهمى[1] ما حل من الوجل بفؤادك حين رفعت طرفك ، فنظرت إليه مضروبًا على جهنم بدقته ، وجهنم تخفق بأمواجها من تحته .

فياله من منظرٍ ما أفظعه وأهوله !!

وقد علمت أنك راكبة فوقه ، وأنت تنظرين إلى سواد جهنم من تحته ، وتسمعين قصيف أمواجها ، وجلبة ثورانها من أسفلها ، والملائكة تنادى :

ربنا من تريد أن تجيزه على هذا ؟ !

وتنادى : ربنا سلم سلم .

فبينما أنت تنظرين إليه بفظاعة منظره ، قيل لك ، وأنت تنظرين إلى الجسر بفظاعته ، وقيل للخلق معك : اركبوا الجسر .

فتوهمى خفقان فؤادك وفزعك ، وقد قيل لك مُرى على الصراط ، فطار عقلك رعبًا وفزعًا ، ثم رفعت أحد قدميك لتركبيه ، فوجدت بباطن قدميك حدته ودقته فطار قلبك فزعًا ، ثم ثنيت الأخرى فاستويت عليه راكبة ، وقد أثقلتك أوزارك ، وأنت حاملة لها على ظهرك .

---

(١) التوهم (ص ٢٦) .

فتوهمي صعودك بضعفك عليه ، وقد نظرت إلى الزّالين والزّالات من بين يديك ومن خلفك ، وقد تنكست هاماتهم ، وارتفعت عن الصراط أرجلهم ، وثارت النار بطلبتها ، وفارت ، وشهقت ، وجذبتهم الكلاليب ، وبادرت شرر النار إلى هاماتهم فتناولتها ، ثم جذبت هاماتهم إلى جوفها ، وهم ينادون ، ويصرخون ، وقد أيسوا من أنفسهم ، وهم بالويل ينادون ، وأنت تنظرين إليهم مرعوبة ، خائفة أن تزل قدمك فتهوين من الجسر ، وتنكسر قامتك .

فتوهمي ذلك بعقلٍ فارغٍ ، وشفقة على ضعف بدنك ، وتخيلي مرورك على الصراط بشدة الخوف ، وضعف البدن ، وإن يكن مغضوبًا عليك لن تشعرى إلا وقد زلّت قدمك عن الصراط .

فتوهمي إن لم يعف عنك أن زلت رجلك عن الصراط ، ثم زلت الأخرى ، فتنكست هامتك ، وارتفعت عن الصراط رجلاك ، فلم تشعرين إلا والكلوب قد دخل فى جلدك ولحمك ، فجذبت به ، وبادرت إليك النار ثائرة غاضبة لغضب مولاها عليك ، فهي تجذبك ، وأنت تهوين من الجسر ، وتنادين حين وجدت مسّ لفحها :

ويلى . . . ويلى

وقد غلب على قلبك الندم والتأسف ألا كنت أرضيت الله عز وجل ، فرضى عنك ، وأقلعت عما يكره قبل أن تموتى ؟ ! ! !

حتى إذا صرت فى جوفها ، التحمت عليك بحريقها ، وقلبك قد بلغ غاية حرقته ومضيضه .

الآن أنت فى قعرها ، وهى تلتهب فى بدنك ، لها قصيف فى جسدك

ثم لم تلبثِ أن تقطر بدنك ، وتساقط لحمك ، وبقيت عظامك ، ثم أطلقت النار على ما فى جوفك فأكلت ما فيه .

فتوهمى كبدك ، قلبك والنار تداخل فيهما ، وأنت تنادين فلا ترحمين ، وتبكين ، وتندمين ، فلا تقبل توبتك ، ولا يجاب نداؤك .

تخيلى نفسك ، وقد طال فى النار مكثك ، وألح عليك العذاب ، فبلغتِ غاية الكرب ، واشتد بك العطش ، فأردت أن تشربى ، ورأيت أمامك ما يشبه الماء ، فقربتيه إلى فمك فشوى وجهك ، ثم شربتيه فسلخ حلقك ، ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك ، فناديت بالويل والثبور ، وذكرت شراب الدنيا وبرده ، ولذته .

فلما اشتد بك الكرب والعطش وبلغ منك المجهود ذكرت الجنان ، فهاجت غصة من فؤادك إلى حلقك أسفًا على جوار الله عز وجل ، وحُزنًا على نعيم الجنة .

ثمَّ ذكرت شرابها ، وبرد مائها ، وطيب عيشها ، فتقطع قلبك حسرة وندامة لحرمان ذلك .

ثم ذكرت أن فيها بعض القرابة من أبٍ أو أمّ ، أو أخت أو أخ ، وغيرهم من القرابة .

فناديتى عليهم بصوتٍ محزونٍ من قلبٍ محترقٍ :
يـــا أمّـــاه . . . يـــا أبتـــاه يـــا أخـــاه ، يـــا أختـــاه

فأجابوك بالخيبة والخسران ، فتقطع قلبك حسرة وندامة بما خيبوا من أملك ، وبما رأيت من غضبهم عليك لغضب الله عز وجل ففزعت

إلى الله بالنداء بالرجوع والتوبة أن يردك إلى الدنيا ، فمكثت دهرًا طويلًا لا يجيبك هوانًا بك ، وإن صوتك عنده ممقوت ، وجاهك ساقط عنده .

فضاقت نفسك فى صدرك ، وبقيت قلقة تزفرين ، لا تطيقين الكلام ، فأطبقت أبواب النار عليك ، وعلى المعذبين فيها .

فما ظنك إن لم يعف عنك ، وقد سمعت صوت بابها قد أغلق،فيا إياسك ، ويا إياس سكان جهنم ، حين سمعوا وقع أبوابها تطبق عليهم ، فعلموا عند ذلك أن الله عز وجل إنما أطبقها لئلا يخرج منها أحدًا أبدًا ، فتقطعت قلوبهم إياسًا ، وانقطع الرجاء منهم ، ولا مخرج ، ولا محيص لهم من عذاب الله عز وجل .

عذاب لا زوال له عن أبدانهم ، ودوام حرق قلوبهم ، فلا روح ولا راحة تعلق بهم أبدًا ، أحزان لا تنقضى ، وغموم لا تنفد ، وسقم لا يبرأ ، وقيود لا تحل ، وأغلال لا تفك أبدًا ، وعطش لا يروون بعده أبدًا ، وكرب لا يهدأ أبدًا ، وجوع لا يشبعون بعده أبدًا إلا بالزقوم ينشب فى حلوقهم فيستغيثون بالشراب ليسوغوا به غصصهم ، فيقطع أمعاءهم ، وحسرة فوات رضوان الله عز وجل فى قلوبهم ، وكمد حرمان جوار الله عز وجل يتردد فى صدورهم ، لا يرحم بكاؤهم ، ولا يجاب دعاؤهم ، ولا يغاثون عند تضرعهم ، ولا تقبل توبتهم ، ولا تقال عثراتهم ، غضب الله عز وجل عليهم فلا يرضى عنهم أبدًا ، إذ أبغضهم ومقتهم ، وسقطوا من عينه ، وهانوا عليه فأعرض عنهم .

فلو رأيت – أيتها المسلمة – حال الناس وقد عطشوا وجاعوا فنادوا من أهل الجنة الأقرباء ، فقالوا جميعًا :

يا أهل الجنة ، يا معشر الآباء والأمهات ، والإخوة والأخوات ، خرجنا من قبورنا عطاشًا ، وأوقفنا بين يدى الله عز وجل عطاشًا ، وأُمر بنا إلى النار عطاشًا ، أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فأجابوهم بالخيبة والخسران فتراجع فى قلوبهم الحسرة والندامة .

فمثلى نفسك بهذا الوصف إن لم يعف الله عنك .

فلو رأيت المعذبين والمعذبات فى خلقهم وخلقهن ، وقد أكلت النار لحومهم ولحومهن ، ومحت محاسن وجوههم ووجوههن ، فبقيت العظام مواصلة محترقة مسودة ، وقد قلقوا واضطربوا فى قيودهم وأغلالهم ، وهم ينادون بالويل والثبور ، ويصرخون بالبكاء والعويل ، إذًا لذاب قلبك فزعًا ، من سوء خلقهم ، وتضعّفت من رائحة نتنهم ، ولما بقى روحك فى بدنك من شدة وهج أبدانهم ، وحرارة أنفاسهم .

فكيف بك إن نظرت إلى نفسك فيها وأنت واحدة من أهلها ؟ !

أختى المسلمة . .

كأنك[1] بالعمر قد انقرض ، وهجم عليك المرض ، وفات كلُّ مراد وغرض ، وإذا بالتلف قد عرض أخَّاذا .

﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا** ﴾[2] .

شخص البصر وسكن الصوت ، ولم يكن التدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت ، فسامت الروح وحازى .

---

(١) التبصرة (٢ /٢٧٥) .

(٢) سورة ق : ٢٢ .

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

عالجت أشد الشدائد ، فيا عجبا مما تُكابدين ، كأنك قد سُقيت سُمَّم الأساود فقطع أفلاذا .

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

بلغت الروحُ إلى التراق ، ولم تعرف الراق من الساق ، ولم تدر عند الرحيل ما تلاق ، عياذًا بالله عياذا .

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

ثم درجوك فى الكفن ، وحملوك إلى بيت العفن ، على العيب القبيح والأفن ، وإذا الحبيب من التراب قد حَفَن ، وصرت فى القبر جذاذا .

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

وتسرَّبت عنك الأقارب تسرى ، تقدُّ فى مالك وتَفْرِى ، وغايةُ أمرهم أن تجرى دموعهم رذاذا .

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

قفلوا الأقفال ، وبضَّعوا البضاعة ، ونسوا ذكرك يا حبيبتهم بعد ساعة ، وبقيت هناك إلى أن تقوم الساعة ، لا تجدين وَزَرًا ولا معاذًا .

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

ثم قمت من قبرك فقيرة ، لا تملكين من المال نقيرا ، وأصبحت بالذنوب عقيرا ، فلو قدَّمت من الخير حقيرا صار ملجأ وملاذا .

﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ .

ونُصب الصراط والميزان ، وتغيَّرت الوجوه والألوان ، ونودى : شَقِى فلان بن فلان ، وما ترى للعُذْر نفاذا .

فهلمى أختى المسلمة اسجدى لربك واركعى ، وسبحى واستغفرى ، وتذللى وابكى عساه أن يرحمك ، وهو أرحم الراحمين .

أختى المسلمة . .

هذا حال الخاسرة الشقية عند مرورها على الصراط ، فما هو حال مرور التقية الفائزة ؟

لو تخيلت أنك أنت الفائزة ، لأنك كنت فى الدنيا لربك عابدة صالحة ، راغبة فى الآخرة وزاهدة فى الدنيا .

فتوهمى[1] نفسك وأنت تمرين على الصراط ، ونورك معك يسعى بين يديك ، وعن يمينك ، وكتابك بيمينك ، مبيضّ وجهك ، وأنت مع زمر العابدات ، ووفود المتقيات ، والملائكة تنادى : سلم سلم ، والوجل مع ذلك لا يفارق قلبك ، ولا قلوب المؤمنات .

فتوهمى ممرّك على قدر خفة أوزارك وثقلها ، وقد انتهيت إلى آخره ، فغلب على قلبك النجاة ، وعلا عليك الشفق ، وقد عاينت نعيم الجنان ، وأنت على الصراط فحنَّ قلبك على جوار الله عز وجل ، واشتاق إلى رضا الله حتى إذا مرت إلى آخره خطوة بأحد رجليك ، فوضعتها على العرصة[2] التى بعد الصراط ، وبقيت القدم الأخرى على الصراط ،

---

(١) التوهم : (ص ٣٤) .

(٢) العرصة : العتبة .

والخوف والرجاء قد اعتليا فى قلبك ، وغلبا عليك ، ثم ثنيت بالأخرى فجزت الصراط كله ، واستقرت قدماك على تلك العرصة ، وزلت عن الجسر ببدنك ، وخلفتيه وراء ظهرك ، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها ، وتثب على من زل عنه مغتاظة تزفر عليه ، وتشهق إليه ، ثم التفتِ إلى الجسر ، فنظرت إليه باضطرابه ، ونظرت إلى الخلائق من فوقه ، وإلى جهنم من تحته تثب ، وتزفر على الذين زلزلوا عن الصراط لها فى رؤوسهم ، فطار قلبك فرحًا إذ رأيت عظيم ما نجاك الله منه ، فحمدت الله ، وازددت له شكرًا ، إذ نجوت بضعفك من النار ، وخلفت النار وجسرها من وراء ظهرك ، متوجهة إلى جوار ربك ، ثم خطوت آمنة إلى باب الجنة ، قد امتلأ قلبك سرورًا وفرحًا .

وها أنت الآن تدخلين إلى الجنة .

« الجنة » هى أمنية كل مؤمنة ، وحُلُم كل مسلمة ، من أجلها عملت العاملات ، وسهرت العابدات ، وصامت الصائمات ، وتنافست المتنافسات .

دارٌ ليس فيها ما يشينها ، ولا يزول نعيمها ، ولا يهرم شبابها ، ولا يأتى المرضُ ، أو الغم ، أو الهمُّ إلى سكانها .

دار فيها النعمة والأمان ، والراحة والاطمئنان ، والنعيم من كل ألوان ، سقفها عرش الرحمن ، وأرضها المسك الأذفر والريحان .

رحم الله الإمام أبا عبد الله ابن قيم الجوزية الذى أراد تقريب نعيمها إلى الأذهان ، وتشويق طلابها إلى السعى فى مهرها ، فقال :

إن سألت عن أشجارها ، فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهبٍ وفضة .

وإن سألت عن ثمرها فألين من الزبد ، وأحلى من العسل .

وإن سألت عن أنهارها فأنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه ، وأنهار من عسل مصفى ، وأنهار من خمر لذة للشاربين .

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون .

وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل ، والكافور .

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير .

وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عامٍ ما يقطعها .

وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى ملكه وقصوره ، مسيرة ألفى عام .

وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من دُرَّة مجوَّفة واحدة ، طولها ستون ميلًا من تلك الخيام .

وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع ، أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب .

وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرقٍ ، مفروشة فى أعلى الرتب .

وإن سألت عن أرائكها فهى الأسِرَّة فما لها من فروجٍ ولا خِلالٍ .

وإن سألت عن وُجوه أهلها وحُسنهم فعلى صورة القمر .

وإن سألت عن سِنِّهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه الصلاة والسلام أبى البشر .

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين ، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين ، وأعلى منهما خطابُ رب العالمين .

وإن سألت عن حُليِّهم فأساورُ الذهب واللؤلؤ ، على الرؤوس ملابس التيجان .

أنت مُبرأةٌ من الحمل ، والولادة ، والحيض ، والنفاس ، مُطهَّرةٌ من المخاط والبصاق ، والبول والغائط ، وسائر الأدناس .

لا يفنى شبابك ، ولا تبلى ثيابك .

وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيارة العزيز الحميد ، ورؤية وجهه المنزَّه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس فى الظهيرة ، والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق والمصدوق فى ذلك النقل .

فاستمع يوم يناد المنادى :

يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم[1] فحىَّ على زيارته

---

(١) أى يطلبكم لزيارته .

فيقولون : سمعًا وطاعة ربنا ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين .

فإذا النجائب قد أُعدَّت لهم ، فيستوون على ظهورها مُسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الذى قد أعدَّ لهم موعدًا أمر الله عز وجل فنُصبت لهم منابرُ من نورٍ ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة .

وجلس أدناهم على كثبان المسك ، ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا ، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم ، واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى :

يا أهل الجنة . .

إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه .

فيقولون : ما هو ؟

ألم تُبيض وجوهنا ، وتثقل موازيننا ، وتدخلنا الجنة ، وتزحزحنا عن النار ، فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نورٌ أشرقت له الجنة ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، يقول :

يا أهل الجنة . .

سلامٌ عليكم .

فيقولون : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى .

أختى المسلمة . .

هذه هى رحلة حياتك فى الدنيا قد انتهت بالمصير المحتوم ، والجزاء المقسوم إما الجنة أو النار .

فهل آن أن تتوقفى قليلًا لتتعرفى على طريق الوصول إلى عيشة راضية ، وجنة عالية ؟ !

هل آن أن تستمعى إلى نصائح غاليات تدعوك إلى ما فيه إصلاح دنياك وآخرتك ؟ !

أراك موافقة على التعرف ، والاستماع فهلمى معى إلى الطريق المؤدى فى نهايته للفوز والفلاح .

* * *

[١٠]

ابحثى عن عيوبك وأخطائك

أختى المسلمة . .

لكى تستطيعى إصلاح نفسك ، فعليك أولًا بمعرفة عيوبها .

لذا ففى البداء أقول لك :

أعظم ما فى هذه الدنيا هو أن تشعرى برضا الله عنك ، ودخولك فى طاعته ، ولكنك كثيرًا ما نسيت هذا الأمر الجليل ، بسبب كثرة الذنوب ، وتراكم العيوب ، واللهث وراء الشهوات الفانيات .

إنك فى حاجة أن تقفى مع نفسك ، وتتعرفى ما هى العيوب التى لديك ، وكيف تستطيعين التخلص منها ؟

إنك دائمًا تتساءلين أين عيوبى ؟ !

وهل لى أخطاء ؟ !

فالعبد مناد دائمًا لا يرى فى نفسه إلا الخير ، بل ربما ذم غيره بما فيه ، وربما ذمه إنسانٌ بما فيه من عيبٍ فيغضب لذلك ، مع أن العيب الذي ذُمّ من أجله فيه ، وبالعكس ربما مُدح بما ليس فيه فيفرح بذلك .

إنك من أجل أن تتعرفى على عيوبك فعليك أن تقومى بتجريد نفسك ، والبحث عما استتر بداخلها من أمراض القلوب ، وعليك أن تبحثى بصدقٍ .

ولكنك فى الحقيقة تتجاهلين تلك العيوب ، وتبتعدين بالأنظار عنها ، خوفًا من رؤية الناس ، ولا تخشين من رؤية رب الناس لك ! !

مع أنك على يقينٍ من رؤيته لأعمالك ، واطلاعه على أسرارك ! !

أختى المسلمة . . .

إن عيوب النفس كثيرة ، فمنها : العجب ، والحسد ، والرياء ، حب الشهرة ، والتظاهر ، والتملق ، البخل ، الغفلة ، الهلع ، الغرور ، حب الدنيا والمال ، والأنس بالمعصية ، واتباع الهوى ، وكثرة الغضب وسرعته .

وهناك ما هو أشد فى عيوب النفس ، وهى الأمور التى تجلب لعنة الله عليك وسخطه .

ولعنة الله تعنى خروجك من رحمة الله تعالى التى وسعت كل شيء ، وتعنى البُعد عن الأمن والأمان ، والطمأنينة ، والعيش فى رعبٍ وخوفٍ من غضب الله .

ومن تلك الأمور : الربا ، قذف المؤمنات المحصنات ، تغيير خلق الله ، السرقة ، هجر المرأة فراش زوجها ، إلى غير ذلك .

وبعد معرفة العيب الذى تجدينه فى نفسك ، فانظرى إلى دوائه فإن الله عز وجل لم ينزل داءً إلا أنزل له الدواء .

فمن كان داؤها المعصية فشفاؤها الطاعة .

ومن كان داؤها الغفلة فشفاؤها اليقظة .

ومن كان داؤها حب الدنيا فشفاؤها حب الآخرة .

ومن كان داؤها الكسل والفتور فشفاؤها النشاط والإقبال .

ومن كان داؤها تضييع الأوقات فشفاؤها الحفاظ عليها بعمل الصالحات .

فهلمى – أختى المسلمة – وانظرى إلى عيوبك ، واشتغلى بمعالجة عيوبك عن عيوب الناس .

أختى المسلمة . .

ما[1] من الموت بُدّ ، باب البقاء فى الدنيا قد سُدّ .

كم قَدٍّ فى القبر قُدّ ؟ ! كم خد فى الأخد قد خُدّ ؟ !

يا من ذنوبها لا تُحصى إن شككت عُدّى .

يا من أتت باب الإنابة كاذبة فُردّت .

يا شدة الوجل عند حضور الأجل ، يا قلة الحيل إذا حل الموتُ ونزل .

يا قوة الأسى إذا نوقش من أسا ، يا خجل العاصين ، يا حسرة المفرطين ، يا أسف المقصرين ، يا سوء مصير الظالمين .

كيف تصنع من بضائعها القبائح ؟ !

كيف تفعل من شهودها الجوارح ؟ !

---

(١) التبصرة (١ /٣٤٧) .

عدمت والله الوسيلة ، وأظلمت فى وجهك وجوه الحيلة ، أصبحت جاثية على ركبك ، مأسورة بما فى كتابك ، لا تدرين ما يُراد بك .

قد جمعت فى صعيد تنتظرين حلول الوعيد ، والأرض بالخلق كلهم تميد ، والعبرات على العثرات تزيد ، إن بطش ربك لشديد .

زفرت – والله – الحطمة فى وجوه الظلمة فذلوا بعد العظمة ، وخرسوا عن كلمة .

أختى المسلمة . .

تأملى عواقب العيوب ، واحذرى نتائج الخطايا ، فإن الحصاد لما زُرعا .

* * *

[١١]
كونى من الله خائفة

أختى المسلمة . .

لقد أصبحت النساء المسلمات فى يومنا هذا عندما يستعمن إلى ذكر الموت ، والقبر ، والآخرة ، لا يتفكرن ، ولا ينزعجن ، ولا يتعظن .

بل لقد صارت كلمتا « الجنة والنار » لا تسترعيان منهن الانتباه ، وما ذاك إلا لذهاب الخوف من الله من قلوبهن .

لقد صارت الدنيا هى أكبر همهن ، وهى مبلغ علمهن ، فاغتررن بها ، وسرن خلفها فهلكن ، وخسرن الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

لقد كانت النسوة المؤمنات فى سالف على ما كُنَّ عليه من تقوى وزهدٍ ، وعلمٍ وعمل ، يخفن من الله خوفًا شديدًا ، حتى تساقطت منهن الدموع ، وتورمت منهن الأقدام من طول الصلاة .

لقد أتحن لأنفسهن الفرصة حتى يفزن فوزًا عظيمًا ، فلم يتلهين بالدنيا ، وأنى لدنيا حقيرة ، وساعات قليلة أن تلهيهن عن أزمانٍ طويلة فى القبر بما فيه ، والوقوف أمام الله بمعانيه ، والمكث يوم القيامة حافيات عاريات ؟ !

لقد علمن أن كل ما هو آت آت ، الموت آت بسكراته ، والقبر

آت بأهواله ، والبعث آت بصوره ، والقيامة آتية بأهوالها .

وعندئذ فقط تتذكر كل مسلمة كيف أن الناجيات إنما نجون بالخوف من الله تعالى ، وأن الخاسرات خسرن بالغفلة عن هذا ، لقد كُشف الحجاب عن بصرهن ، فرأين سوء أعمالهن ، عندما ينادى ربنا كلاً منّا : ﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾[1] .

كان يزيد الرقاشى – رحمه الله – يقول لنفسه ، وهو يبكى :

ويحك يا يزيد ، من ذا الذى يصلى عنك بعد الموت ؟ ! !

من ذا الذى يصوم عنك بعد الموت ؟ ! !

من ذا الذى يترضى عنك بعد الموت ؟ ! !

أيها الناس ألا تبكون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ !

من الموت طالبه ، والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله ؟

أختى المسلمة . .

الخوف من الله من أجلّ المنازل التى توصلك إليه ، وتصلح قلبك ، اسمعى إلى أُبَى بن كعب – رضى الله عنه – وهو يقول : –

« عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فمسته النار أبدًا .

---

(١) سورة ق : ٢٢ .

وليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذكر الله فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله شجرة يبس ورقها ، فهى كذلك ، إذ أصابتها ريحٌ فتحات ورقها عنها إلا تحات خطاياه كما يتحات من هذه الشجرة ورقها » .

أختى المسلمة . .

إذا كانت الجمادات تبكى خوفًا من الله تعالى ، ألا يدعوك ذلك إلى البكاء والخوف منه ؟ ! !

يقول ابن أبى مليكة رحمه الله :

رأيت عبد الله بن عمرو وهو يبكى ، وهو يصلى ، فنظرت إليه ، ثم قلت له : لِمَ تبكى ؟ قال : أتعجب من خشية الله ؟ !

إن هذا القمر – ثم أشار إلى القمر – ليبكى من خشية الله .

و« الخوف من الله » له أجرٌ كبير ، وثواب عظيم .

تأملى فى قول كعبُ الأحبار رحمه الله : –

لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب إلىَّ من أن أتصدق بوزنى ذهبًا .

والذى نفس كعب بيده ، ما من عبدٍ مسلمٍ يبكى من خشية الله حتى تقطر قطرة من دموعه على الأرض فتمسه النار أبدًا ، حتى يعود قطر السماء الذى وقع على الأرض من حيث جاء ، ولن يعود أبدًا ! !

« الخوف من الله » يعنى أن قلبك عامرٌ بالإيمان ، ملىءٌ بالإسلام ، مزين بالتقوى .

ولقد قال وهيب بن الورد رحمه الله تعالى : –

بلغنا أنه ضُرِبَ لخوف الله مثلٌ فى الجسد ، قيل :

إنما مثل خوف الله كمثل الرجل يكون فى منزله فلا يزال عامرًا ما دام فيه ربه ، فإذا فارق المنزل ربه ، وهجره خرب المنزل ، وكذلك خوف الله تعالى إذا كان فى جسدٍ لم يزل عامرًا ما دام فيه خوف الله .

فإذا فارق خوف الله الجسد خرب ، حتى إن المار يمر بالمجلس من الناس فيقولون : بئس العبد فلان ، فيقول بعضهم لبعضٍ :

ما رأيتم منه ؟ فيقولون : ما رأينا منه شيئًا غير أنا نبغضه ، وذلك أن خوف الله فارق جسده .

وإذا مر بهم الرجل فيه خوف الله ، قالوا : نِعْمَ الرجل والله .

فيقولون : أى شىء رأيتم منه ؟

فيقولون : ما رأينا شيئًا غير أنا نحبه .

وللخوف من الله تعالى أسباب كثيرة ، منها :

١ – خوف مجىء الموت بغتة قبل التوبة .

٢ – خوفك من ضعفك عن الوفاء بتمام حقوق الله عليك ، فإنها كثيرة جدًا .

٣ – خوفك الميل عن الاستقامة .

٤ – خوفك من البطر بكثرة نعم الله تعالى عليك .

٥ – خوفك من الاشتغال عن الله بغيره .

٦ – خوفك من تعجيل العقوبة فى الدنيا .

٧ - خوفك من الافتضاح عند الموت .
٨ - خوفك من اطلاع الله على سريرتك فى حالة غفلتك عنه .
٩ - خوفك من أن يختم لك بخاتمة سوء .
١٠ - الخوف من سكرات الموت وألمه .
١١ - الخوف من سؤال منكر ونكير .
١٢ - الخوف من ضمة القبر وعذابه .
١٣ - الخوف من هيبة الوقوف بين يدى الله تعالى .
١٤ - الخوف من السؤال عن الكبير والصغير ، والعظيم والحقير .
١٥ - الخوف من الصراط وحدته .
١٦ - الخوف من النار وأغلالها ، وأهوالها .
١٧ - الخوف من حرمان الجنة ، دار النعيم ، والملك المقيم .
١٨ - الخوف من حرمان النظر إلى وجه الله العظيم .

فهل بعد ذلك تحتاجين من يذكرك بالخوف من الله ، وحاجتك إليه ؟

هلمى معي لترى كيف كانت الصالحات من نساء السلف الصالح يخفن الله خوفًا عظيمًا .

يحكى لنا عروة بن الزبير - رحمه الله - عن موقفٍ شاهده بنفسه : يقول : كنتُ إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة - رضى الله عنها - ، وهى خالته - فأسلم عليها ، فغدوت يومًا ، فإذا هى قائمة تصلى ، وتقرأ وهى قائمة : - ﴿ **فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾[1] .

وتدعو ، وتبكى ، وترددها ، فقمت خلفها حتى مللت القيام ،

---

(١) سورة الطور : ٢٧ .

فذهبت إلى السوق لحاجتى ، ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى .

تأملى فى خشوعها ! !

ألا يحرك خضوعها وخوفها من ربها فى قلبك الخجل من تقصيرك ؟ !

ألا يدعوك ذلك إلى الخجل من تفريطك فى حق ربك ؟ !

ألا يدعوك حال أمك ، وأم كل المؤمنين والمؤمنات إلى إحسان العبادة لله تعالى ؟ !

انظرى إلى شدة خوفها ، مع أنها زوجة الرسول ﷺ فى الدنيا والآخرة .

تأملى ، وكررى التأمل إلى حالها عند قراءة القرآن – وهى فى صلاتها – تجدين التفكر والتدبر ، والخضوع ، والخشوع ، والتأثر لما تقوله ، حتى إنها لتكرر الآية الواحدة لفترة زمنية ليست بالقصيرة .

وانظرى إلى حال الخائفة من الله عجردة العمية رحمها الله .

يقول رجاء بن مسلم العبدى : –

كانت عجردة العمية تُحيى كثيرًا من الليل صلاة ، تقوم تصلى ، فإذا كان السحر نادت فى بيتها ، وسط أهلها ، بصوتٍ لها محزون : إلهى ، إليك قطع العابدون دجى الليالى ، بتبكير الدلج إلى ظلم ، يستبقون إلى رحمتك ، وفضل مغفرتك .

فبك إلهى لا بغيرك ، أسألك أن تجعلنى فى زمرة السابقين إليك ،

وأن ترفعنى فى درجة المقربين ، وأن تلحقنى بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء ، يا كريم .

ثم تخر ساجدة ، فلا تزال تبكى ، وتدعو فى سجودها .

ولو تعلمين أختى المسلمة خوف أمية بنت أبى المورع ؟

يحكى لنا رياح العبدى عن أمية الموصلية - رحمها الله تعالى - وكانت من الخائفات ، وكانت إذا ذكرت النار قالت :

أُدخلوا النار ، وأكلوا من النار ، وشربوا من النار ، وعاشوا فى النار ، وكان بكاؤها أطول من ذلك .

وكانت كأنها حبةٌ على مقلى .

وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت ، وما رأيت أحدًا أشد خوفًا ولا أكثر بكاء منها .

أختى المسلمة . .

تعلمى من العابدة أمية الخوف من النيران ، فإنها عظةٌ لمن أرادت العظة ، وكفى بذكر النار تذكرة .

وتأملى فى حال الخائفة من الله بردة الصريمية .

إنها - رحمها الله تعالى - عابدة من العابدات المصطفيات فى بصرى العراق .

كانت تكثر من البكاء من خشية الله تعالى ، حتى خشى عليها أن تعطب إحدى عينيها من كثرة البكاء فقال لها بعض أهلها : يا بردة ،

إن لبصرك عليك حقًا .

فقالت رحمها الله تعالى : إن أكن من أهل الجنة ، فسيبدلنى الله بصرًا خيرًا من بصرى ، وإن أكن من أهل النار ، فأبعد الله بصرى .

وكانت تقوم تصلى فى ليلها ، وتجلس تسبح فى بيتها ، وتبكى على ذنوبها ، حتى وافتها المنية ، وهى على الطاعة مقيمة ، وللمعصية تاركة .

أما عاتكة المخزومية فشأنها عجيب ، وحالها غريب .

هى عابدة من أهل البوادى ، كانت تسكن مع بنى مخزوم حيث قومها ، وعُرفت بينهم بكثرة عبادتها لربها .

فكانت - رحمها الله تعالى - تبكى كثيرًا لما اقترفت من ذنوبٍ فى غفلتها عن ربها تبارك وتعالى ، فعوتبت على كثرة بكائها ، فقالت :

« ما ينبغى للمُخوَّف بالنار أن تجف له دمعة حتى يعرف موقع الأمان من ذلك » .

أختى المسلمة . .

تأملى فى عواقب الذنوب ، فإن اللذة تفنى ، وتبقى عليك العيوب ، فاحذرى المعاصى فبئس المطلوب ، وبئس العمل المرغوب .

يقول ابن الجوزى رحمه الله تعالى :

ابك من جرمك خوفًا   فحقيقٌ بك أن تبكى
كم ركبت الذنب مغرو   رًا وكم أسرعت فى الفتك
وتبرجت بعصيانك قد غرك   إمهالى وتركى

من ترى يسترك اليوم إذا عممَّك هتكى
كم تجردت لعصيانى وكم خالفت نُسكى
أتُرى تجهل عِزَّى أم تُرى تُصْغِر مُلكى

فهيا أيتها المسلمة كونى من الله على وجل ، واعملى على أمل ، واحذرى مرور الأجل .

* * *

[١٢]
التوبة النصوح زادك إلى الآخرة

أختى المسلمة . .

التوبة من الذنوب ، بالرجوع إلى ستير العيوب ، وعلام الغيوب ، واجبة على الفور والدوام .

إن التوبة النصوح هى طريق السالكات إلى الله ، وزاد المؤمنات فى آخرتهم ، ورأس مال الفائزات فى دنياهم وآخرتهم .

فما نجت من نجت يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة إلا بالتوبة النصوح ، التى فيها العزم على الإخلاص لله وحده ، وتحقيقه ما يرضيه ، والابتعاد عن كل شيء يغضبه .

تأملى فى آيات الله الكريمة التى تدعوك إلى التوبة :

﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعًا ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾(١) .

اسمعى أختى المسلمة إلى ربك تبارك وتعالى ، وهو يفتح لك باب القبول ، بقوله عز وجل : –

﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴾(٢) .

---

(١) سورة الزمر : ٥٣ .

(٢) سورة الشورى : ٢٥ .

التوبة من الذنوب والأخطاء صغيرة كانت أو كبيرة هو دأب الصالحات ، وشعار المؤمنات .

ولقد جاء الوحى المبين بالحث على هذا الأمر العظيم ، فقال عز وجل :

﴿ وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾[1] .

إن نور التوبة يشع من قول الرسول ﷺ :

« يا أيها الناس »

« توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة »[2] .

تفكرى أختى المسلمة هذا هو الرسول ﷺ المعصوم ، الذى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، يستغفر ربه ، ويتوب إليه فى اليوم مائة مرة ، فكم تتوبين أنت ؟ !

ليتك تبتِ فى اليوم عشر مرات ، وحافظت على ذلك ! !

أختىَ المسلمة . .

حقوق الله تعالى أعظم من أن تقومى بها ، فكيف تصلين إلى رضا الرحمن وجنته ؟ !

اسمعى إلى قول التابعى الجليل طارق بن حبيب رحمه الله تعالى :

---

(١) سورة النور : ٣١ .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١٧ /٢٣) ، وأحمد (٢ /٤٥) ، وأبو داود (١٥١٥) ، والترمذى (٣٣١٢) ، وابن ماجه (٣٨١٥) .

« إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وأمسوا تائبين » .

تخيلى أنك ملكت كل ما تريدين من آمالٍ وأحلامٍ ، ووصلت إلى كل ما تريدين ، ثم فجأة على بغتة ضاع منك كل شيء بغير فائدة ، حتمًا ستبكين ، وتتوجعين ، وتتحسرين على ما ضاع منك ، وقد تعضين على أصابعك ندامة وحسرة على ما ضاع .

فما بالك بعمرك ! !

هو جوهرة نفيسة ، لا تقدر بأى شيءٍ مادى ، وهذا العمر فى حقيقته عبارة عن أنفاس ، نفس يخرج تلو الآخر ، ولا يعود إليك أبدًا ، وهذه الأنفاس هى رأس مالك فى الدنيا ، تشترين بها ما تشاءين من نعيم الجنة ، فكيف تضيعين ذلك العمر بلا توبة نصوح .

إن ملك الموت إذا ظهر للعبد يبدو على وجه العبد الأسف والندامة ، يود لو كانت له الدنيا بحذافيرها ليفتدى نفسه بها ، وما هو بمستطيع .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾[1] .

أسفًا لك إذا جاءك الموت وما أنبت ، واحسرة لك إذا دُعيت إلى التوبة فما أجبت ، كيف تصنعين إذا نودى بالرحيل وما تأهبت .

---

(١) سورة المنافقون : ١٠ - ١١ .

أختى المسلمة . .

قال الرسول ﷺ لعائشة رضى الله عنها : -

« إن كنتِ ألمتِ بذنبٍ فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه »[1] .

عائشة - رضى الله عنها - الصديقة بنت الصديق ، قيل فى حقها مقالة سوء ، قالها أصحاب السوء ، فجاء إليها ﷺ ، وقال لها تلك الوصية ، ولم يكن الوحى قد نزل بتبرئة عائشة مما قيل فى حقها .

يقول لها عليه الصلاة والسلام : « **إن كنت ألمت بذنب** » يعنى إن كنت فعلت ذنبًا ، وليس ذلك بعادة ، وهذا أصل كلمة اللمم .

« فاستغفرى الله » « وتوبى إليه » .

أى عودى ، وأنيبى إلى الله تعالى .

أختى المسلمة . .

ليست التوبة كلمة تقال ، أو عبارة تتردد باللسان فقط ، ولكن تتحقق بعدة أمور :

منها : أن تشعرى بالندم على ارتكاب الخطأ ، أو الذنب الذى حدث منك .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٦/ ١٣٠) ، ومسلم (١٧/ ١١١) ، وأحمد (٦/ ١٩٦) .

اسمعى إلى رسول الله ﷺ ، وهو يقول :

« **الندم توبة** »[1] .

ومنها : أن تتركى تلك المعصية التى ندمت عليها ، وتبتعدى عن طريقها ، يعنى الإقلاع عن المعصية .

ومنها : العزم الصادق على عدم الرجوع إلى تلك المعصية .

ومنها : أن تؤدى الأعمال الصالحة ، التى تكون سببًا فى محو الأعمال السيئة .

ومنها : الخروج من عهدة حق الآدمى ، فإن قلت فى حق أختك المسلمة غيبة ، أو نميمة ، أو أخذت منها ما لا ينبغى لك ، تردى ما استطعت ، ثم تقومى باستحلال صاحبة الحق فيما لم تكن لديك القدرة على إعادته .

أختى المؤمنة . .

اعلمى أنك عندما تعودين إلى الله بتوبة نصوح ، فإن الله يقبلها ، ويمحو عنك ما كان من آثامٍ ، فتأملى فى تلك النماذج البشرية التى تابت إلى الله عز وجل توبة نصوحًا ، ففازت بالدنيا والآخرة .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (١ /٣٧٦) ، وابن ماجه (٤٢٥٢) ، والحاكم (٤ /٢٤٣) .

١ - قاتل المائة نفس

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن نبى الله ﷺ قال :

« كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فسأل عن أعبد أهل الأرض ، فدُلَّ على راهبٍ فأتاه ، فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به المائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجلٍ عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب .

فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبًا ، مقبلًا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط ، فأتاهم ملكٌ فى صورة آدمى ، فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة » .

وفى رواية : « فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى ، وإلى هذه أن تقربى ، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبرٍ ، فجعل من أهلها »[1] .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٤/ ٢١١) ، ومسلم (١٧/ ٨٢- ٨٣) .

فتأملى أختى المؤمنة مع عظم ذنبه ، وقبح جرمه ، لما اشتد ندمه ، وصدق فى توبته ، رحمه أرحم الراحمين ، وجعله من السعداء .

ما عليك إلا أن تصدق الله فى توبتك ، فيرحمك الله عز وجل .

٢ - توبة المرأة الزانية

عن عمران بن حصين - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ أتته امرأةٌ من جهينة ، وهى حُبلى من الزنا ، فقالت :

يا رسول الله ، أصبت حدًا فأقمه علىَّ ، فدعا نبى الله ﷺ وليها ، فقال له : « **أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتنى** » .

ففعل ، فأمر بها نبى الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلى عليها ، فقال له عمر : تصلى عليها يا نبى الله ، وقد زنت ؟ ! !

فقال عليه الصلاة والسلام :

« **لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى** »[1] .

تأملى أختى المسلمة جزاء التوبة النصوح ، إنها تجعل المرء على استعدادٍ كبيرٍ ، لكى يتطهر من المعاصى والآثام .

فالتوبة أختى المسلمة من أحب العبوديات إلى الله ، ولها منزلة ليست

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم(١١ /٢٠٥) ، وأحمد (٤ /٤٣٠) ، والترمذى (١٤٦٢) .

لغيرها ، ففيها : الذل ، والانكسار ، والخضوع لله .

بل من أعظم الفوائد التى تعود على المسلمة من وراء التوبة النصوح ، هو تبديل السيئات التى قامت بها إلى الحسنات .

تأملى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾[1] .

فهذه الآية الكريمة من أعظم البشارات للتائبات ، فلقد قال التابعى الجليل سعيد بن المسيب – رحمه الله تعالى :

هو تبديل الله سيئاتهم التى عملوها بحسناتٍ يوم القيامة ، فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة .

أختى المسلمة . .

الكثيرات من المسلمات لا يعدن إلى الله بتوبةٍ نصوحٍ إلا بعد مرور عمر طويل ، فعندما تأتين للمسلمة لا تصلى ، أو لا تؤدى طاعات الله من صيامٍ ، أو تتبرج فإنها تتعلل بأنها لا زالت صغيرة ، ولا زال العمر أمامها ، ولم تتفطن إلى أنها ربما لا تصل إلى ما أمِلته فالتوبة مبسوطة ما لم تغرغر ، ولكن انظرى أختى إلى هذا المثل :

التوبة فى الصحة ورجاء الحياة تشبه الصدقة بالمال فى الصحة ورجاء البقاء .

---

(١) سورة الفرقان : ٧٠ .

والتوبة عند حضور الموت تشبه الصدقة بالمال عند الموت ، فكأن من لا تتوب إلا فى مرضها ، فقد استفرغت صحتها ، وقوتها فى شهوات نفسها ، ولذة دنياها ، فلما أيست من الدنيا والحياة فيها تابت حينئذ ، وتركت ما كانت عليه ، فأين توبة هذه من توبة من تابت إلى الله ، فى عز شبابها ، وقدرتها على المعاصى ، ولكن خوفها من الله ، ورجاء ثوابه منعها من هذا .

اسمعى أختى المسلمة إلى التفجع ، والتحسر الذى كان عليه بعض المحتضرين ، وهم يفارقون الدنيا :

*أحدهم يلطم وجهه ، ويقول : « يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله » .

* *ويقول الآخر وهو يبكى : « سخرت بى الدنيا ، حتى ذهبت أيامى » .

* * *وثالث يقول ، والأنفاس تتقطع لخروج الروح من البدن : « ويحكم يا إخوانى ، لا تغتروا بشبابكم ، ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى » .

وصدق الله العظيم ، حيث يقول : -

﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله

هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ﴾[1] .

« أمور تعين على التوبة »

أختى المسلمة . .

إن من أعظم الأسباب والأمور التى تيسر لك التوبة ، والعودة إلى الله أن تعرفى قدر عظمة الله تبارك وتعالى .

تتعرفين على قدرته وجبروته ، وأنه قادرٌ أن ينزل بك إن شاء عقابًا أليمًا .

اسمعى إلى ربك عز وجل ، وهو يقول : –

﴿ ما لكم لا ترجون لله وقارًا * وقد خلقكم أطوارًا ﴾[2] .

يعنى : ما لكم لا تقدرون عظمة الله ، وتعرفون قدره .

وقال أحد سلفنا الصالحين ، وهو بلال بن سعد رحمه الله : –

لا تنظر إلى صغر المعصية ، ولكن انظر إلى من عصيت ! !

فعندما تتذكرين عظمة الله وقدرته ، سوف تقومين على الفور بالتوبة ، والعودة إلى الله ، كما هو مشاهد بالتجربة .

---

(١) سورة الزمر : (٥٤ –٥٨) .

(٢) سورة نوح : ١٣ –١٤ .

أختى المؤمنة . .

ألا تتذكرين الموت ؟ ! !

هل نسيت القبر ؟ ! !

إنك عندما تتذكرين الموت ، وما فيه من ألمٍ وشدة ، والقبر وما فيه من وحشة وظلمة ، وغربة وفرقة ، حتمًا سيحدث لك تغيير لم يكن من قبل .

اسمعى إلى قول الحق تبارك وتعالى : -

﴿ كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾[1] .

عندما تتذكرين الموت ، وسرعة الانتقال من الحياة الدنيوية إلى الحياة الأخروية ، ستجدين أن أوائل الأمور التى تفكرين فيها ، هى التوبة إلى الله .

أختى المسلمة . .

بالله عليك عندما تعلمين أنك أول ما توضعين فى قبرك يناديك القبر ، ويقول لك :

يا ابن آدم ، ويحك ما غرك بى ؟ !

ألم تعلم أنى بيت الدود ؟ !

ألم تعلم أنى بيت الفرقة ؟ !

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ .

ألم تعلم أنى بيت الظلمة ؟ !

هذا ما أعددت لك ، فما أعددت لى ؟ !

هل بعد هذا القول تجدين أمامك إلا التوبة إلى الله ؟ !

أختى المسلمة . .

ومن الأمور التى تعينك على التوبة ، هو معرفتك أن الفلاح فى الدنيا والآخرة مرتهن بالعمل للآخرة ، لأن الدنيا فانية ، وزائلة ، وما هى إلا ساعة ، وتعودين إلى ربك ، كما قال عز وجل : -

﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه ﴾[1] .

وقال جل ثناؤه : -

﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حقٌّ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾[2] .

واسمعى إلى حديث الرسول ﷺ ، وهو يوضح هذا الأمر بقوله :

« ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بما يرجع » .

وتأملى فى قول الصحابى الجليل ابن عباس رضى الله عنهما : -

يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز ، شمطاء ، زرقاء ، أنيابها بادية ، مشوه خلقها ، فتشرف على الخلق ، فيقال : هل تعرفون هذه ؟

---

(١) سورة الانشقاق : ٦ .

(٢) سورة فاطر : ٥ .

فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ! !

فيقال : هذه الدنيا التى تشاجرتم عليها ، وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم ، وتباغضتم ، واغتررتم ، ثم تقذف فى جهنم .

فتقول : يا رب ، أين أتباعى ، وأشياعى ؟

فيقال : ألحقوا بها أتباعها ، وأشياعها .

أختى المسلمة . .

من الأمور التى تيسر لك المواظبة على التوبة أن تعلمى أن تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع ، وأن كل ما أصابك من مصائب فهو من قبل ذنوبك ، وصدق الله العظيم إذ يقول : –

﴿ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[1] .

اسمعى أختى المؤمنة إلى قول التابعى الجليل محمد بن سيرين ، رحمه الله ، وهو يقول :

عيرتُ رجلًا بالإفلاس ، منذ عشرين سنة ، فقلت له : يا مفلس ، ولقد ابتلانى الله الآن بالإفلاس .

اسمعى أختى المسلمة إلى التفجع ، والتحسر الذى كان عليه بعض المحتضرين ، وهم يفارقون الدنيا :

*أحدهم يلطم وجهه ، ويقول : « يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله » .

---

(١) سورة النحل : ٣٣ .

* *ويقول الآخر وهو يبكى : « سخرت بى الدنيا ، حتى ذهبت أيامى » .

* * *وثالث يقول : والأنفاس تتقطع لخروج الروح من البدن : « ويحكم يا إخوانى ، لا تغتروا بشبابكم ، ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى » .

وصدق الله العظيم ، حيث يقول : -

﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ﴾[1] .

أختى المسلمة . .

قد تتساءلين ، وتقولين : هل يجوز لى أن أتوب توبة عامة للذنوب كلها ؟

نعم أختى المسلمة هذا هو المطلوب منك ، إذ يتحتم على المسلمة أن تتوب توبة عامة ، مما تعلمه من الذنوب ، ومما لا تعلمه ، فإن المرأة تنسى الكثير من الخطايا التى تقع فيها بمرور الأيام عليها ، إذن فالتوبة العامة واجبة .

---

(١) سورة الزمر : ٥٤ -٥٨ .

قد تقول لك إحدى المسلمات عند دعوتها للتوبة : إنما يمنعنى من التوبة أنى أعلم من نفسى أنى أعود إلى الذنب ، ولا أثبت على التوبة ؟ ! !

أختى المؤمنة . .

إن هذا الكلام من المسلمة ، إنما هو غرور الشيطان ؛ لأن المسلمة لا تدرى متى يفجؤها الموت ، فلعلها تموت تائبة قبل أن تعود إلى الذنب .

وأما الرجعة إلى الذنب فعلى المسلمة العزم والصدق ، وإتمام الإقامة على التوبة ، فإن ثبتت على التوبة ، وسلمت من الرجعة إلى الذنب ، فذلك بتوفيق الله تعالى وفضله عليك .

فإن رجعت إلى الذنب فقد تبت إلى الله من ذنوبك السابقة ، وتخلصت منها ، وتطهرت من أقذارها ، وليس عليك إلا الذنب الذى أحدثتيه ، وهذا ربحٌ وفوزٌ عظيم ، فلا ينبغى للمسلمة أن يمنعها من التوبة خوف العودة إلى الذنب ، فإن التائبة لا تخلو أبدًا من فائدةٍ من الفوائد .

فعليك أختى المسلمة أن تجتهدى ، وتستيقظى من رقدة الغفلة ، عسى أن تنتهى عن الإصرار ، وتتخلصى من الأوزار .

أختى المسلمة . .

لقد دعاك إلى التوبة مولاك ، وفتح باب الإجابة ، ثم وضح لك الطريق فهداك ، فهلا أقبلت إلى مغفرةٍ من ربك ورضوان وجنات ذات أنهار ، وعيش مع الأبرار السعداء .

فتأملى أختى المسلمة كيف أن العقوبة ، قد ادخرت له بعد عشرين سنة .

أختى المسلمة . .

طوبى[1] لمن غسلت درن الذنوب بتوبة ، ورجعت عن خطاياها قبل فوت الأوبة ، وبادرت الممكن قبل ألا يمكن .

من رأيت من آفات دنياها سلمت ؟ !

ومن شاهدتيها صحيحة ، وما سقمت ؟ !

وأى حياةٍ بالموت لم تنختم ؟ وأى عمرٍ بالساعات لم ينصرم ؟ إن الدنيا لغرور حائل ، وسرور إلى شرور آيل ، تردى مستزيدها ، وتؤذى مستفيدها ، بينما طالبها يضحك أبكته ، ويفرح بسلامته أهكلته ، فندم على زلله إذ قدم على عمله ، وبقى رهين خوفه ووجله ، وود أن لو زيد ساعة فى أجله ، فما هو إلا أسير فى حفرته ، وخسير فى سفرته ، وهذه وإن كانت صفة من عنا نأى ، فكذا تكون لو أن العاقل ارتأى .

قال الشاعر : –

سبيلك فى الدنيا سبيل مسافر ولابدّ من زادٍ لكل مسافر

ولابدّ للإنسان من حمل عدة ولا سيما إن خاف سطوة قاهر

وطرقك طرق ليس تسلك دائما وفيها عقاب بعد صعب القناطر

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى :

---

(١) التبصرة (١ /٢٦) .

يا ابن آدم بع عاجلتك بعاقبتك تربحهما جميعًا ، ولا تبع عاقبتك بعاجلتك فتخسرهما جميعًا ، الثواء ههنا قليل ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون ؟ !

المعاينة ، فكأنها والله قد كانت ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق بآخركم .

يا ابن آدم دينك ، دينك ، فإن سلم لك دينك ، سلم لك لحمك ودمك ، وإن تكن الأخرى فإنها نارٌ لا تطفأ ، ونفسٌ لا تموت ، إنك معروضٌ على ربك ، ومرتهنٌ بعملك ، فخذ مما فى يديك عند الموت يأتيك الخبر .

يا ابن آدم ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة .

يا ابن آدم لا تعلق قلبك بالدنيا ، فتعلقه بشرٍ معلق ، قطِّع حبالها ، وأغلق عنك بابها ، حسبك ما بلغك المحل .

* * *

[١٣]
كونى زاهدة فى الدنيا راغبة فى الآخرة

أختى المسلمة . .

قال الله تعالى فى محكم التنزيل : -

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾[1] .

تعلمك تلك الكلمات القرآنية ، الربانية : عدم اللهفة على الشهوات ، وعدم التسابق إلى الفانيات ، بل التنافس على الخيرات ، والمسابقة فى فعل الطاعات .

ألا فاعلمى أنك إذا حرصت على الدنيا ، ونسيت الآخرة ، فإن الله تبارك وتعالى يعطيك ما تريدين فى الدنيا ، وليس لك فى الآخرة من نصيب .

اسمعى إلى قول ربك العظيم : -

﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا

---

(١) سورة آل عمران : ١٤ -١٥ .

له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيهم مشكورًا * كُلاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا ﴾[1] .

أختى المسلمة . .

إن زهدك فى الدنيا يعنى : ألا تطلبى من غيرك زوجًا كان أو والدًا ما لا يستطيع إلا بالمشقة والعنت .

وزهدك فى الدنيا يعنى : ألا تكونى من اللواتى تلهين بنعمة الله عن النظر إلى المسلمات الفقيرات ، المحتاجات .

انظرى إلى حال أمك عائشة – رضى الله عنها – وكيف كانت من الزاهدات فى الدنيا ، الراغبات فى الآخرة .

يروى الحاكم فى مستدركه ، وأبو نعيم فى الحلية ، وغيرهما هذا الأثر الطيب .

أرسل معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – ثمانين ألف درهم إلى عائشة – رضى الله عنها – وكانت صائمة ، وعليها ثوب خلق ، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء ، والمساكين ، ولم تبق منه شيئًا ، فقالت لها جاريتها : يا أم المؤمنين ، ما استطعت أن تبقى لنا درهما نشترى به لحمًا تفطرين عليه ؟ !

فقالت : يا بنية ، لو ذكرتينى لفعلت .

(١) سورة الإسراء : ١٨ – ٢٠ .

فتأملى أختى المسلمة .

كيف أنها وهى الصائمة ، وفى حاجة شديدة إلى الطعام تنسى نفسها ولو بدرهم واحد ! !

وما ذاك إلا لأجل تذكرها للفقراء ، والمساكين ، والأرامل ، والمحتاجين ، وحبها لإدخال السرور على قلوبهم ، التماسًا لثواب الله ومغفرته .

وهذا والله فعل الزاهدات إيثار غيرهن على أنفسهن ، لا الأنانية ، وحب النفس ، الذى تعيش فيه المسلمات اليوم ! !

أختى المسلمة . .

هلمى إلى ما زاد وفاض من مالك ، وثيابك ، وطعامك فتصدق به على الصالحات من المسلمات ، والتقيات منهن .

هلمى أصلحى علاقتك مع ربك التى أفسدها حب الدنيا ، والتعلق بغرورها .

* * *

[١٤]
كونى راضية عن الله تعالى

أختى المسلمة . .

رضا الله عز وجل عن المسلم أو المسلمة هو غاية الغايات ، وأقصى أمانى العباد .

ولكن كيف السبيل للوصول إلى تلك الأمنية العظمى ، وهذه الغاية الكبرى ؟

إن رضوان الله تعالى إنما يستحقه العبد المؤمن إذا رضى عن كل شيء قدره الله تعالى .

فشأن أهل الرضا عن الله أنهم يرضون فى دنياهم بكل ما قُدّر لهم ، ويرضون فى آخرتهم بما يمنحه ربهم – عز وجل – لهم .

ولتعلمى أختى المسلمة أنه لم تكن المسلمات فى وقتٍ من الأوقات فى حاجةٍ إلى الرضا عن الله لكى يرضى عنهن كما هو الآن فى زمننا .

فالمسلمات فى وقتنا صرن يتسخطن على قضاء الله وقدره ، ليلًا ونهارًا ، سرًا وعلانية .

فهذه تقول : ليت ما كان لم يكن .

وهذه تقول : يا ليت هذا كان .

وثالثة تقول : لِمَ أبتلى ، وتعافى فلانة بنت فلان ، وأُحرم وتتمتع هذه ؟ ورابعة ، وخامسة ، وسادسة . . .

إن أولاء لم يسمعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وهو يقول : ما أبالى على أى حالٍ أصبحت وأمسيت : من شدة أو رخاء إذا أصبحت وأمسيت مسلمًا .

لقد نسيت المسلمات اليوم معنى الرضا من قضاء الله وقدره ، حتى ضاع منهن الإيمان بخيره وشره .

ولكى تصلى إلى الرضا عن الله يلزمك أن يكون الله أحب شىء إليك ، ودائمًا تسبق محبته إلى قلبك كل محبة ، وتقهر محبته كل محبة ، بل وتكون محبة غيره تابعة لمحبته .

أختى المسلمة . .

حتمًا سوف تتعرضين فى حياتك إلى البلاء ، الذى قد يكون فى نفسك ، أو فى زوجك ، أو فى أولادك ، أو فى والديك إلى غير هؤلاء من عشيرة المرء .

وهنا يظهر معنى الرضا عن الله تعالى ، ويتجلى مقدار الإيمان الذى لديك ، فإن الله أنزل بك البلاء لكى يختبر ما لديك من إيمانٍ ، هل ستصبرين فتنالين عظيم الأجر والثناء من رب الأرض والسماء ؟ أم تسخطين على القضاء ؟

إن الله يبتلى عباده من الصالحين والصالحات لكى يصلح لهم أحوالهم ، ويصلح لهم أعمالهم ، ويصلح لهم صحيفة أعمالهم السابقة .

اسمعى إلى هذا الحديث النبوى الذى ترويه لنا أم العلاء : تقول أم العلاء رضى الله عنها : -

عادنى رسول الله ﷺ وأنا مريضة ، فقال :

« يا أم العلاء ، أبشرى ، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه ، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة »[1] .

لذا لو تعلمين ما أعده الله تعالى من ثوابٍ على البلاء لصبرت على هذا البلاء .

ولذا كله كانت المرأة الرشيدة ، المؤمنة التقية ، هى التى ترضى دائمًا بقضاء الله وقدره ، وتعلم أن الخير ذلك ، والشر فى عكسه .

ولكن أغلب المسلمات يفرحن فرحًا شديدًا عندما يشاهدون قضاء طيبًا لهن ، وبالعكس إذا شاهدن الأمر على غير ما توقعن ، أو ظنن ، فإنهن ييأسن ، ويقنطن ، وذلك من ضعف إيمانهن ، وقلة ثقتهن فى تقدير الله تعالى لهن .

فهلمى كونى من الراضيات بحكمه تعالى فى السراء والضراء ، الشاكرات عند القدر والقضاء ، وتأملى فى تلك الكلمات الطيبات :

* كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول : -

« من ذروة الإيمان : الاستسلام للرب تبارك وتعالى » يعنى فى قضائه وقدره ، وأحكامه .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أبو داود (٣٠٩٢) .

* *وكان عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – يقول : –

« لأن ألحسنَّ جمرة ، أحرقت ما أحرقت ، وأبقت ما أبقت ، أحب إلَّى من أن أقول لشيءٍ كان ، ليته لم يكن ، أو لشيءٍ لم يكن ، ليته كان » .

* *وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : –

« ما بقى سرور إلا فى مواقع القدر » .

وقيل له : ما تشتهى ؟ قال : ما يقضى الله تعالى .

*أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام :

« يا داود ، إنك لن تلقانى بعملٍ هو أرضى لى عنك ، ولا أحط لوزرك من الرضا بقضائى ، ولن تلقانى بعملٍ هو أعظم لوزرك ، ولا أشد لسخطى عليك من البطر[1] ، فإياك يا داود والبطر .

يا داود ، إنك تريد ، وأنا أريد ، وإنما يكون ما أريد ، فإن سلمت لما أريد ، كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريده » .

أختى المسلمة . .

لقد بلغت المرأة المسلمة فى عهد سلفنا الصالح منتهى الرضا عن ربها فى قضائه وقدره .

لذا فقد كانت الواحدة تحتسب عند البلاء ، وتكتم ما ينزل بها ، ولا

---

(١) هو التعالى على الخلق بنعم الله عز وجل .

تشكو إلى أحدٍ ما نزل بها .

أما اليوم فالمرأة دائمًا فى شكوى ، تشكو النساء بعضهن لبعضٍ من قضاء الله وقدره ، وذلك لعدم كمال الإيمان فى قلوبهن ، وعدم معرفتهن بعظمة الله وقدره .

ولقد سمع الفضيل بن عياض - رحمه الله - رجلًا يشكو بلاء نزل ، فقال له : يا هذا تشكو من يرحمك - يعنى الله - إلى من لا يرحمك وهو المخلوق .

وقال بعض السلف الصالح : « من شكا مصيبة نزلت به ، فكأنما شكا ربه » .

وليس من الشكوى المرادة هنا ذكرك مرضك للطبيبة التى تعالجك ، فإن هذا من الأسباب التى جعلها الله تعالى بين عباده .

إنما المراد بالشكوى هنا : التحسر ، والتفجع من بلاء الله ، لمن لا حول له ولا قوة فى صرفه ، كأن تجلس المرأة مع صديقة لها ، أو مع جارةٍ لها ، فتقص عليها من شدة البلاء الذى نزل بها ، وتتأسف على حالها ، وأنها صالحة ، ولكن ماذا تفعل ؟

أختى المسلمة . .

اسمعى إلى ابن عبد ربه الأندلسى ، وهو يقول : أخبرنى صديقٌ لى ، قال : سمعنى شريح وأنا اشتكى بعض ما غمنى إلى صديق ، فأخذ بيدى وقال : -

يا ابن أخى ، إياك والشكوى لغير الله ، فإنه لا يخلو من تشكو إليه :

أن يكون صديقًا ، أو عدوًا .

فأما الصديق : فتحزنه ولا ينفعك ، وأما العدو : فيشمت بك .

انظر إلى عينى هذه ، وأشار إلى عينيه ، فوالله ما أبصرت بها شخصًا ، ولا صديقًا منذ خمس عشرة سنة ، وما أخبرت بها أحدًا إلى هذه الغاية ، أما سمعت قول العبد الصالح : -

﴿ إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ﴾[1] .

فاجعله مشكاك ، ومحزنك عند كل نائبة تنوبك ، فإنه أكرم مسئول ، وأقرب مدعو إليه .

وقال محمود الوراق رحمه الله تعالى :

أئن فات ما كنتَ أملته جزعت وماذا يرد الجزع
ففوض إلى الله كل الأمور فليس يكون سوى ما صنع

فهلمى أختى المسلمة : ارضى بقضاء الله وقدره ، وضعى هذه الآيات القرآنية نصب عينيك ، فإن فعلت هذا فأنت السعيدة فى الدنيا والآخرة .

قال الله عز وجل : ﴿ **وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له إلا هو ، وإن يُردك بخير فلا رآد لفضله** ﴾[2] .

وقال جل شأنه : ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ،**

(١) سورة يوسف : ٨٦ .
(٢) سورة يونس : ١٠٧ .

وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[1].

وصدق الشاعر القائل :

رضيت بما قسم الله لى وفوضت أمرى إلى خالقى
فقد أحسن الله فيما مضى ويحسن إن شاء فيما بقى

فهلمى جددى إيمانك بقول لا إله إلا الله ، واحتسبى عند البلاء ، وليكن الرضا حالك عند كل قضاء .

واحذرى أن تقولى لأمرٍ قضاه الله ليته لم يكن .

وما التوفيق والسداد إلا من عند الله تعالى .

* * *

---

(١) سورة فاطر : ٢ .

[١٥]
خاتمة

أختى المسلمة . .

ها قد وصلنا إلى الوريقات الأخيرة من هذا الكتاب ، ولا أجد ما أذكرك به ، وأرشدك إليه أفضل من أن تجعلى منهاج حياتك هو طريق نساء السلف الصالح .

و« نساء السلف » يعنى زوجات الصحب الكرام ، والتابعين الأبرار .

وكل امرأة عاشت على عقيدة ، وفقه ، وسلوك السلف الصالحين فائزة فى الدنيا ، وناجية فى الآخرة .

فالمرأة إذا سارت فى طريق « نساء السلف الصالحات » فهى آمنة فى اعتقادها لأنها لا تعتقد إلا ما اعتقده الرسول ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

وإذا عملت المرأة بفقه نساء السلف الصالحات فهى آمنة فى حياتها ؛ لأنها لا تعمل إلا بدليل من كتاب الله تعالى ، أو سنة نبيه ﷺ .

وإذا اتخذت لنفسها سلوك نساء السلف شعارًا فهى آمنة فى سلوكها ؛ لأنها تقتدى بمن مَنَّ الله تعالى عليه بالرضى والقبول .

ففى هذا المنهاج « طريق نساء السلف الصالح » تستطيع المرأة المسلمة

تحقيق معنى العبودية لله تعالى .

وفى هذا المنهاج « طريق نساء السلف الصالح » تعرف المرأة حقها على زوجها ، وحقه عليها ، وحقها عند أولادها ، وحقوقهم عليها ، وسائر حقوقها عند الآخرين .

وفى هذا المنهاج « طريق نساء السلف الصالح » تستطيع المرأة أن تقوم بتأدية فرائض الله ، وتبتعد عن مناهيه ، وشكره آناء الليل وأطراف النهار لعله أن يرضى عنها .

وفى هذا المنهاج « طريق نساء السلف الصالح » ترأى المرأة المسلمة كيف كرم الإسلام المرأة وليدة ، وناشئة ، وزوجة ، وأمًّا ، وجدة .

وفى هذا المنهاج « طريق نساء السلف الصالح » تتعلم المرأة : الصدق ، والحياء ، والإيثار ، والخشوع ، والخضوع ، والإخلاص ، واليقين ، والصبر ، وغير ذلك .

وفى هذا المنهاج « طريق نساء السلف الصالح » تزداد المرأة قُربًا من ربها ، وتزداد عملًا ليوم معادها .

وأخيرًا . .

أسأل الله تعالى أن يجعل عملى هذا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به سائر المسلمات والمؤمنات ، ويغفر لى به السيئات ، ويكتب لى به عنده الحسنات ، وينفعنى به بعد الممات .

اللهم انفعنى به ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

والحمد لله رب العالمين

أبو مريم / مجدى فتحى السيد إبراهيم

طنطا – مصر

فى ١٤ صفر ١٤١٢هـ

الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٩١م

الفهرس العام

الموضوع **الصفحة**

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

اقرئي أختاه حتى لا تخدعي



من منشوراتنا
للمرأة المسلمة



العنوان	المؤلف
آداب الصحبة بين الأخوات المسلمات	مجدي فتحي السيد
أسس اختيار الزوجين	مصطفى عيد الصياصنة
أختاه التوبة أو الحسرة	مجدي فتحي السيد
اعترافات متأخرة (جزءان)	محمد عبدالعزيز المسند
امرأة تعظ الرجال	مجدي فتحي السيد
تسمية المولود	بكر أبوزيد
داء تفشي العنوسة	عبدالودود مقبول حنيف
الدعوة إلى الإصلاح	محمد الخضر حسين
	تحقيق/ علي حسن عبدالحميد
صفة الزوج الصالح	عمرو عبدالمنعم
فتاوى الصيام	عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
فضائل تربية البنات	مجدي فتحي السيد
قوت القلوب في ذكر علام الغيوب	ربيع عبدالرؤوف الزواوي
كيف تعامل خدمك	أم عبدالله بنت خالد
اللآلئ المنثورة في بيان بعض السنن المهجورة	أبويوسف عبدالرحمن آل محمد
لفت الأنظار إلى حقيقة الإيثار	جمال محمد إسماعيل
للنساء فقط	مجدي فتحي السيد

ردمك : ٤ - ٦٤ - ٦٦١ - ٩٩٦٠

مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦